نوع التقرير : عرض
التاريخ:٢٠١٠/١٠/٢٣ الساعة:١٠ : ٣٠

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١

مقدّمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الحمد للّه الّذي قال: قل هو اللّه أحد اللّه الصمد، و الصّلاة و السّلام على عبده و رسوله الخاتم الّذي شرّف اللّه سبحانه الصّلاة بالصّلوات عليه و آله، و على أهل بيته الأطهار أولي الأمر الّذين هم صحبان العصر و قادة الامّة.

و بعد فهذه كلمة من المحقّق تقديما للكتاب باللّغة العربيّة، على أن ستأتي نفس المقدّمة باللّغة الفارسيّة أيضا إن شاء اللّه تعالى.

و لا بأس بالإشارة إلى العناوين الّتي سنذكرها في هذه المقدّمة و هي كما يلي:

ألف- تقرير حول تحقيق الكتاب.

ب- مميّزات الكتاب و نواقص النّسخة المخطوطة.

ج- عنوان الكتاب و اسمه.

د- وصف النّسخة الخطّيّة و نفس تفسير المحيط الأعظم في كلمات بعض الأعلام.

هـ- وصف تفسير المحيط الأعظم في كلمات المؤلّف، و الموازنة بينه و بين القرآن و كتاب فصوص الحكم.

و- مراحل السّير و السّلوك العلمي و العملي للسّيد الجليل المؤلّف و ذكر مؤلّفاته و مشايخه.

ز- فيض الحقّ سبحانه و تعالى على المؤلّف، و علمه اللامتناهي، و طريق تحصيل العلم و المعرفة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢

ح- منامات السيّد المؤلّف و تمثّلاته.

ط- الموازنة بين المؤلّف و سلمان بلسان المؤلّف.

ي- التّأليف و التصنيف باللّغتين: العربيّة و الفارسيّة.

ك- الاعتذار عن العجمة في العبارات.

ل- نقل المطالب من كتب القوم.

م- تكرّر المطالب و بعض العبارات في كتب المؤلّف.

ن- البعد عن التعصّب في المباحث العلميّة.

س- التواضع و طلب الإصلاح.

ع- التشيّع و العرفان- الشّيعة و العارف.

ف- الجمع بين الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة.

ص- بيان العرفان بلسان البرهان، و الجمع بين البرهان و العرفان و القرآن.

ق- دليل إقامة البرهان لإثبات الحقائق العرفانيّة.

ر- القرآن و مباني الإدراك و المعرفة.

ش- الجداول و الدوائر.

ت- كتمان الأسرار و الوصيّة به.

ث- مقالة حول التفسير و المفسّر و أسماء اللّه الحسنى، و درجات الإنسان و دركاته.

خ- الأنس بالقرآن و التّدبر فيه، و أنّ مضمون القرآن هو اللّه سبحانه و الإنسان فقط.

ذ- الأسماء الحسنى الإلهيّة و مقامات الأنبياء و أسماء القرآن.

ض- هل أنّ معرفة مقام الرّسول الخاتم (ص) ممكنة؟

ظ- تفاوت درجات الأنبياء في القرآن.

غ- تفسير الإنسان و بيان درجات صعوده و دركات سقوطه في القرآن.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣

تقرير حول تحقيق الكتاب

منذ سنوات غير قصيرة خلت، وقفت على الكتابين الجليلين جامع الأسرار و نقد النقود، للسيّد الأجل العارف الكامل الواصل السيّد حيدر الآملي قدّس سرّه، و كان ذلك بداية التعرّف على هذا السيّد العظيم من خلال تأليفاته، و كان من أهمّها كتاب التفسير، و كتاب نصّ النصوص، و لا سيّما أنّهما آخر ما دبّجه قلمه الشريف في آخر عمره المعطاء.

و قد رأيت أنّ هذين الكتابين جديران بالدّراسة و التحقيق، فعقدت العزم على إخراجهما بصورة تتناسب و مكانتهما لما لهما من الأهميّة و الأثر، و ما امتازا به من خصائص قلّ أن توجد في غيرهما من هذه النوعيّة من الكتب.

و من حسن التوفيق أنّي كنت في شهر رمضان المبارك من عام ١٤٠٤ للهجرة متشرّفا بزيارة المشهد المقدّس للإمام الرّضا عليه السّلام، و كنت في مجلس ضمّ جمعا من العلماء الأفاضل، و دار الحديث حول هذا التفسير القيّم، و قد أظهر الحاضرون الرّغبة الشّديدة في إخراج هذا الكتاب و نشره، ليكون مصدرا للاستفادة و منهلا عذبا للواردين، و في ذلك الاجتماع المبارك صمّمت على إحياء هذا الكنز الخفيّ و أعددت العدّة لذلك، إلاّ أنّ المشكلة الّتي واجهتنا هي العثور على نسخ الكتاب الخطّيّة و لم نعثر بعد الفحص و التتبّع و مراجعة المكتبات العامّة و الخاصّة و الفهارس المختلفة للمكتبات الدّاخليّة و الخارجيّة و سئوال ذوي الكتب الخطّيّة إلاّ على نسخة واحدة تشتمل على المجلّدين الأوّل و الثاني فقط، و هي بخطّ المؤلّف من المكتبة العامّة لسماحة السيّد آية اللّه العظمى السيّد شهاب الدّين المرعشيّ النجفيّ قدّس سرّه في مدينة قم المشرّفة.

و بعد الحصول على مصوّرة لهذا الكتاب، و قد تفضّل بها سماحة حجّة الإسلام و المسلمين السيّد محمود المرعشيّ مسئول المكتبة العامّة، و قد رحب بالفكرة و بذل جهودا مشكورة في إنجاز هذا العمل، فله منّا جزيل الشّكر و التّقدير و نسأل اللّه تعالى له التوفيق لإحياء آثار أهل البيت عليهم السلام.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤

و قد عكفت على مطالعة الكتاب و تحقيقه ليلا و نهارا حتّى جاء بهذه الصورة الماثلة بين يديك.

و قد تمّ تحقيق الكتاب في عدّة مراحل:

ألف- ترتيب صفحات الكتاب: كانت صفحات الكتاب مبعثرة و موضوعة على غير ترتيب، و قد خلط بعضها ببعض بصورة عجيبة، و قد تطلّب ترتيبها عملا مضنيا و زمنا طويلا، و بعد العمل المتواصل الّذي استغرق عدّة شهور وفقنا لإعادة ترتيب الكتاب و وضع صفحاته في أماكنها و محالّها.

ب- نسخ الكتاب: و قد واجهتنا في هذا الصّدد مشكلتان: الأولى قراءة الخط، و الثانية نواقص الكتاب.

أمّا قراءة الخط فالكتاب و إن كان بقلم السيّد المؤلّف و خطّه الشريف و هو قلم مسحة من نور إلاّ أنّ خطّ السيّد جاء بصورة خاصّة بحيث تعسّر أحيانا قراءته، و يتطلّب وقتا طويلا للاستئناس بطريقته في الكتابة، و قد استطعنا بحمد اللّه من قراءة ما كتبه السيّد بقلمه.

و ينبغي أن نشير هنا إلى أنّ الكتاب بقلم المؤلّف نفسه، فيكون الكتاب و النسخة المخطوطة من حيث وثاقتها و صدورها عن مؤلّفه فوق الشكّ و الرّيب كما أنّ ذلك يزيد الكتاب قيمة و اعتبارا خاصّين.

و أمّا نواقص الكتاب فهي تعود إلى عدّة عوامل:

١- مرور الزّمن و طول المدّة.

٢- الأرضة و الآفات و ما أكثر إضرارها بالذّخائر و الآثار.

٣- عدم الدّقّة و الإهمال من قبل الورّاقين.

و هناك عوامل اخرى غير ما ذكرنا، كان لها الأثر في إتلاف قسم من هذه النسخة النادرة النّفيسة و الّتي لم نعثر على نسخة اخرى غيرها بل هي منحصرة عند فرد واحد.

فلهذا و إلى الآن و بعد مضيّ عدّة سنين لا زالت بعض صفحات الكتاب لم تكتمل، و لكن مع عناية اللّه سبحانه و تعالى استطعنا التغلّب على كثير من العقبات بالنّسبة إلى ضبط الكتاب و قراءته، و ذلك ببذل جهود مضاعفة مع الدّقّة، و التأمّل، و العمل المتواصل، و المطالعة المتكرّرة للكتاب، و مراجعة الآيات و الروايات و الأدعية، و الكتب المختلفة الفلسفيّة و العرفانيّة و التفسيريّة و اللّغويّة، و الرّجوع المتكرّر لمؤلّفات السيّد العرفانيّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٥

المتعدّدة، و غيرها، و بذلك تمكّنّا من رفع كثير من الصّعاب و المشاكل و العلل.

و لكن و مع بالغ الأسف فقد أتلفت الأرضة قسما من صفحات الكتاب من تفسير سورة البقرة. كما أنّ بعض الصّفحات المهمّة من الكتاب لا يمكن الاستفادة منها لما أصابها من التّلف.

إلاّ أنّنا نرجو أن نعثر على نسخة اخرى تكون أتمّ و أكمل لكي نتدارك بها هذه النواقص، و نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا لذلك.

ثمّ إنّنا في موارد كثيرة من صفحات الكتاب و الّتى سقطت بعض الكلمات منها إمّا لتلفها أو لعدم إمكان قراءتها، وضعنا أماكنها عددا من النقاط بين قوسين.

ج- عنونة المطالب: الملاحظ لكتب القدماء و الواقف على منهجهم في التأليف، يعلم أنّهم لا يعنونون المطالب، و إنّما يجعلون مباحثهم أحيانا تحت فصول فقط، و كان هذا الكتاب الشريف أيضا على هذا المنهج، و لكن تتضمّن فصوله مطالب جمّة، و لهذا قمنا بوضع عناوين و فهرسة لمباحث الكتاب، و ذلك من خلال الاستفادة من محتويات هذه الفصول.

د- استخراج الآيات و الأحاديث و غيرها من مصادرها، و في هذه المرحلة وضعنا مصادر الآيات إلى جانبها، و أمّا الأحاديث فقد بذلنا الجهد في مراجعة أصول الجوامع الرّوائيّة و الكتب المختلفة الاخرى مع الفحص الكثير، و قد تمّ بحمد اللّه و توفيقه استخراج أكثر الأحاديث من مصادرها من كتب الحديث و غيرها، و كان سعينا في إرجاع الأحاديث إلى الكتب الرّوائيّة الّتي ألّفت قبل زمان المؤلّف.

هذا وعلاة على ذلك أنّنا في الموارد الّتي لم نعثر فيها على متن الحديث الّذي استشهد به السيّد المؤلّف، ذكرنا الرّوايات الّتي تحمل نفس المضمون مع ذكر مصادرها، كما أنّنا أضفنا بعض المطالب و التعليقات عند ذكر هذه المصادر.

و الجدير بالذكر: أنّ بعض الأحاديث المذكورة في هذا الكتاب ليست من مختصّاته، و قد ذكرت أيضا في الكتب العرفانيّة المعتبرة الاخرى، و لهذا فما ذكرناه من التعليقات يصلح أن يكون موردا للاستفادة بالنّسبة إلى سائر الكتب العرفانيّة أيضا إن شاء اللّه تعالى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ۶

مميّزات الكتاب و نواقص النسخة المخطوطة

كان فراغ السيّد حيدر الآملي من تأليف كتاب تفسير المحيط الأعظم في شهر رمضان المبارك سنة ۷۷۷ هـ و قد وضعه في سبعة مجلّدات.

و في نفس الكتاب، و قبل الشروع في تفسير و تأويل آيات القرآن الكريم، وضع المؤلّف سبع مقدّمات كمدخل و إعداد بالنسبة إلى محتويات الكتاب، و قد ذكر عناوين تلك المقدّمات في المجلّد الأوّل من أصل الكتاب.

و لا بأس بنقل نصّ عبارة المؤلّف في بيان عناوين هذه المقدّمات و هي ما يلي:

المقدّمة الاولى، في بيان التأويل و التفسير و الفرق بينهما و بيان أنّ تأويل القرآن واجب عقلا و شرعا.

المقدّمة الثّانية، في بيان كتاب اللّه الكبير الآفاقي و تطبيقه بكتاب اللّه القرآني الجمعيّ.

المقدّمة الثّالثة، في بيان حروف اللّه الآفاقيّة و تطبيقها بحروف اللّه القرآنيّة.

المقدّمة الرّابعة، في بيان كلمات اللّه الآفاقيّة و تطبيقها بكلمات اللّه القرآنيّة.

المقدّمة الخامسة، في بيان آيات اللّه الآفاقيّة و تطبيقها بآيات اللّه القرآنيّة.

المقدّمة السّادسة، في بيان الشريعة و الطّريقة و الحقيقة، و بيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة.

المقدّمة السّابعة، في بيان التوحيد و أقسامه و مراتبه من التوحيد الفعليّ و الوصفيّ و الذّاتيّ.

و ممّا ينبغي أن يذكر: أنّ الموجود عندنا من المجلّدات السّبعة المجلّد الأوّل و الثاني فقط، و يحتوي الأوّل منهما على المقدّمات السّبع المشار اليها، و أمّا الثاني فيحتوي على تفسير و تأويل آيات سورة الحمد و قسم من آيات سورة البقرة، و أمّا المجلّدات الخمسة الباقية فليست عندنا كما أنّا لا نعرف عنها شيئا.

و أمّا ما وقع بأيدينا من هذا الكتاب فسيقع بمشيئة اللّه تعالى و توفيقه بعد تحقيقه في أربعة مجلّدات:

المجلّد الأوّل، يشتمل على المقدّمة الاولى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ۷

المجلد الثاني، يشتمل على المقدّمات الثّانية و الثّالثة و الرّابعة و الخامسة.

المجلّد الثّالث، يشتمل على المقدّمة السّادسة و قسم من المقدّمة السّابعة.

المجلّد الرّابع، يشتمل على تفسير و تأويل سورة الحمد المباركة.

و الجدير بالذكر أنّ هناك توضيحات كثيرة تتعلّق بمميّزات هذا التفسير وردت في كلمات السيّد المؤلّف، سيأتي ذكرها في الأبحاث التالية.

نواقص النسخة المخطوطة

من جملة ما عرض على النسخة الموجودة من النقص و التلف غير ما ذكرناه سابقا أربعة موارد مهمّة إلى الآن غير قابلة للتعويض و ستبقى كذلك ما لم نعثر على نسخة كاملة من الكتاب، و نذكر هذه الموارد الأربعة بحسب الترتيب التالي:

ألف- كان المؤلّف قدّس سرّه قد وضع خطبة للكتاب و فهرسا مفصّلا، ذكر بعض ما قال فيهما في الموارد المختلفة خلال المقدّمات و التفسير و أحال بعض المطالب إليهما في أثناء الكتاب، إلاّ أنّه مع الأسف لم يبق منهما إلاّ الشيء القليل من خطبة الكتاب و ما يتعلّق بالإشارة إلى عناوين المقدّمات السبع للكتاب، و أمّا بقيّة الخطبة و الفهرس فقد تلفا تماما.

و هنا ينبغي أن نشير إلى أمور:

الأوّل: أنّنا أفردنا الباقي من الخطبة في أوّل الكتاب بالذكر و جعلناه تحت عنوان:

«بقيّة خطبة الكتاب».

الثّاني: أنّ الخطبة القصيرة الّتي جعلت في أوّل الكتاب هي الخطبة الّتي أنشأها السيّد المؤلّف قدّس سرّه عند شروعه في تفسير سورة الحمد و إنّما فعلنا ذلك لئلاّ يكون أوّل الكتاب خاليا من الخطبة و سنذكرها إن شاء اللّه تعالى في محلّها أيضا.

الثّالث: يبدو أنّ المقدّمة السّابعة للكتاب كانت تحتوي على مطالب مفصّلة، و يقوّي الاحتمال أنّ مطالبها مشابهة لمطالب كتاب جامع الأسرار و منبع الأنوار إلاّ أنّه مع الأسف لم يبق منها إلاّ صفحة واحدة بخط المؤلّف و البقيّة مفقودة.

الرّابع: إنّ الجزء الثاني الّذي وضع مع الجزء الأوّل في مجلّد واحد في النسخة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٨

المخطوطة، شامل لتفسير و تأويل سورة الحمد و قسما قليلا (٥٤ آية) من سورة البقرة، و لكن مع الأسف أتلفت الأرضة مقدار الثلث من كلّ صفحة من القسم الخاصّ بتفسير سورة البقر و هو غير قابل للتعويض و ما بقي منه فهو أيضا خارج عن حدّ الاستفادة إلاّ أنّ بعض الصفحات و السطور بقي سالما و استخرجنا بعض المطالب منها و سنضيفها في المجلّد الرّابع المطبوع بعد سورة الحمد إن شاء اللّه تعالى.

الخامس: أشرنا فيما سبق إلى أنّ مقدار خمسة أجزاء من التفسير- و هي تشتمل على تفسير القرآن بكامله ما عدا سورة الحمد، و هذه أيضا من الموارد الّتي تعتبر من الخسائر الّتي لا تعوض- تعدّ من أكبر المفقودات.

اسم الكتاب و عنوانه

أمّا ما يتعلّق باسم الكتاب فأنّ من اليقين أنّ اسم الكتاب و عنوانه يتناسب مع أهميّة الكتاب و قيمته، و قد ورد في كلمات السيّد تسمية الكتاب باسمين هما:

ألف: المحيط الأعظم و البحر الخضمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم، و قد وضع السيّد المؤلّف نفسه هذا الاسم في نهاية المقدّمات السّبع من المجلّد الأوّل و في أوّل المجلّد الثاني عند الشروع في تفسير فاتحة الكتاب و قال هناك ما هذا لفظه:

«اللّه مفتّح الأبواب».

«هذا المجلّد الثاني من الكتاب الموسوم بالمحيط الأعظم و البحر الخضمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم للعبد الفقير إلى رحمة ربّه الغنيّ حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسيني الآمليّ أصلح اللّه شأنه و وفّقه لإتمامه بمحمّد و آله، و قد اتّفق ذلك سلخ شوّال بالمشهد المقدّس الغرويّ سلام اللّه على مشرّفه في سنة سبع و سبعين و سبعمائة هجريّة نبويّة».

ب: المحيط الأعظم و الطّود الأشمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم، و هذا العنوان ذكره السيّد المؤلّف في مقدّمات كتابه «نصّ النّصوص» ص ١٢، قاله في الكتاب المذكور عند بيان تاريخ مؤلّفاته و قبل بيانه سبب تأليفه لكتاب نصّ النّصوص، و هذا لفظه فيه:

«ثمّ بعد الكلّ في هذه المدّة الطويلة الّتي هي ثلاثون سنة كاملة، فرغت أيضا من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٩

تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ«المحيط الأعظم و الطّود الأشمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم» المرتّب على سبع مجلّدات كبار» و ذكر هذا العنوان أيضا لتفسيره في ص ٥٣٦ من كتاب «نصّ النّصوص» عند بيان سلوكه العلميّ و العمليّ.

و سنذكر كلام السيّد بتمامه إن شاء اللّه في قسم آخر من هذه المقدّمة تحت عنوان «مراحل السّير و السّلوك العلميّة و العمليّة للسيّد المؤلّف» فانتظر.

و هناك اسم ثالث للكتاب و هو: «المحيط الأعظم في البحر الخضمّ» و قد جاء في الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة بعد كلمة: و سمّيته و لكن لا يمكن الاعتماد عليه و ذلك لأنّ هذه الجملة مكتوبة بغير خطّ المؤلّف.

وصف النسخة الخطّيّة في كلمات بعض الأعلام، ذكرنا تلك الكلمات بلفظها باللغة العربيّة ص ١٥ إلى ١٨ تحت هذا العنوان في المقدّمة الفارسيّة، فراجع هناك.

و الجدير بالذكر أنّ النسخة الخطّيّة الّتي ذكرها صاحب «الذريعة» و نقل بعض خطبتها و عناوين محتوياتها، يبعد أن تكون من هذا التفسير كما يبعد بحسب الأصول أن يكون الكتاب كتابا في التفسير بل من المحتمل أنّه كتاب يشتمل على مباحث التوحيد شبيه بكتاب جامع الأسرار، كما يحتمل أن يكون هو المقدّمة السّابعة المفقودة من التفسير الّتي تناول فيها السيّد المؤلّف مسألة التوحيد.

و يحتمل أيضا أن يكون كتابا مستقلاً من كتب السيّد قدّس سرّه فانّ عبارات الخطبة المذكورة أي المنقولة في «الذريعة» لا تتناسب مع التفسير بل هي مناسبة لأن تكون خطبة لكتاب يتناول موضوع التوحيد، و اللّه هو العالم.

هذا و قد قال الأستاذ كربن في مقدّمته لكتاب «جامع الأسرار و منبع الأنوار» ص ١٧ في معرض الحديث حول النسخة الخطّيّة لتفسير المحيط الأعظم:

عثر الأستاذ عثمان يحيى في النجف بإشارة من الشيخ آقا بزرگ الطهراني في المكتبة الغرويّة على نسخة من التفسير

العرفانيّ و التأويل الصّوفيّ الشيعيّ، و مع هذه النسخة الخطّيّة رسالة أيضا بعنوان «رسالة العلوم العالية» و هي بخط المؤلّف و هي متأخّرة زمانا (٧٨٧) هجريّ، و تتناول جملة من المسائل في الحكمة. هذا من جانب و من جانب آخر يقول الأستاذ عثمان يحيى في مقدّمته لكتاب جامع الأسرار ص ٥٤:

عثرنا على نسختين ناقصتين لهذا التفسير الهامّ ...

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٠

ذكرنا عباراته في ص ١٨ و ١٩ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها باللّغة العربيّة، فراجع.

أقول: و الّذي يظهر أنّ كلاّ من الاستاذين عرض لهما الاشتباه، لأنّ ما ذكره الأستاذ عثمان يحيى على خلاف ما ذكره الأستاذ كربن، حيث ذكر أنّ نسخة التفسير لم يقف عليها مباشرة بل استند في ذلك إلى قول صاحب «الذريعة» الطهرانيّ. و أيضا على خلاف ما ذكره الأستاذ عثمان يحيى فإنّ صاحب الذريعة صرّح بأنّ النسخة تقع في مجلّد واحد لا أكثر.

و أمّا النسخة الثّانية الّتي أشير إليها في كلمات الأستاذ عثمان يحيى فيحتمل أن تكون هي الّتي موجودة الآن في المكتبة العامّة المذكورة، إلاّ أنّها ليست هي الأصل بل صورة منها و هي في مجلّدين، المجلّد الأوّل في تفسير سورة الحمد و المجلّد الثّاني في المقدّمات، و هذه النّسخة كتبت على طبق نسخة المؤلّف، و كلّ الإيرادات الواردة على نسخة الأصل تردّ على هذه النسخة أيضا إضافة إلى أنّ هناك عدّة ملاحظات و إشكالات على هذه النسخة: من جملتها السقط الكثير فيها، و منها أنّ الكاتب لم يستطع أن يقرأ بعض الكلمات من خطّ المؤلّف فترك أماكنها خالية.

وصف تفسير المحيط الأعظم في كلمات المؤلّف و الموازنة بينه و بين القرآن الكريم و كتاب فصوص الحكم

يتحدّث السيّد حيدر الآملي عن كتاب التفسير في موردين من كتبه:

الأوّل في مقدّمات نصّ النصوص، الثاني في المقدّمة الاولى من المقدّمات السّبع للتفسير، و أفضل وصف للتفسير ما يكون من نفس المؤلّف، و لذا نذكر عبارات السيّد حول التفسير فيما يلي، و لا نحتاج إلى نقل ما ذكره حول التفسير في المقدّمة الاولى هنا لأنّا سنورده في محلّه من هذا المجلّد، فراجع.

و أمّا وصفه للتفسير في مقدّمات نصّ النّصوص فقد قال في ص ١٢:

... تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ«المحيط الأعظم و الطّود الأشمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم» المرتّب على سبعة مجلّدات كبار، بإزاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدّين الرّازيّ، المعروف بـ«داية» قدّس اللّه سرّه، فإنّه رتّب كتابه على ستّة مجلّدات كبار، بعد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١١

تسميته بـ«بحر الحقائق و منبع الدقائق» و نحن أردنا أن يكون لنا تفسير على قرنه من الوجوه، و بمقتضى الحديث الوارد فيه أيضا:

«إنّ للقرآن ظهرا و بطنا، و لبطنه بطنا، إلى سبعة أبطن».

و بمقتضى اشتماله (أي القرآن الكريم) على السّبعات المعلومة و غير ذلك ممّا أوجب ترتيبه عليها (السّبعة).

و اشتهر ذلك (التفسير) في أكثر الأقاليم و البلدان، و تحقّقت صورته عند أعاظم أهل التحقيق و العرفان، و تقرّر بينهم أنّه عديم المثل و النظير لا سيّما في علوم القرآن، و أنّه ليس بكسب و لا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة

الرحمن.

و قال أيضا في ص ٥٣٦:

... ثمّ أمرني الحقّ بتأويل القرآن الكريم، فكتبته بعده هذا كلّه، فجاء في سبع مجلّدات كبار، و سمّيته بـ«المحيط الأعظم و الطّود الأشمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم» و ذلك خرج في غاية الحسن و الكمال، و ظهر في نهاية البلاغة و الفصاحة بعناية الملك ذي العزّة و الجلال، بحيث ما سبقني أحد بمثله لا ترتيبا و لا تحقيقا و لا تلفيقا.

الموازنة بين التفسير و نصّ النّصوص و بين القرآن و الفصوص

بعد أن وازن السيّد المؤلّف بين نفسه و بين سلمان و ذكر امتيازه على سلمان هنا، وازن بين كتاب التفسير و كتاب نصّ النّصوص و بين القرآن و الفصوص، و بين كتابيه و بين الفصوص و الفتوحات، و يقول: كما أنّ للرسول الأعظم (ص) كتابين أحدهما نازل إليه، و الثّاني صادر عنه، و كما أنّ الشيخ محيي الدّين له كتابان أحدهما نازل و واصل إليه و الأخر صادر عنه، فكذلك نحن، لنا أيضا كتابان أحدهما فيض لنا و الآخر صادر عنّا، و الكتاب النّازل لأجل النبيّ (ص) القرآن، و النّازل لأجل الشيخ الأكبر فصوص الحكم، و النّازل لأجلنا تفسير المحيط الأعظم، و أمّا الكتاب الصّادر عن النبيّ الأكرم (ص) فهو فصوص الحكم، و الصّادر عن محيي الدّين بن عربيّ الفتوحات المكّيّة، و الصّادر عنّا شرح الفصوص و كتاب نصّ النّصوص.

قال السيّد المؤلّف في مقدّمات نصّ النّصوص ص ١٤٧ بعد ذكر الموازنة بينه و بين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٢

سلمان: «و بعد أن حصلت لنا المضاهاة في الكتب أيضا مع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مع الشيخ قدّس سرّه ...»

راجع في تمام العبارات ص ٢٢ إلى ص ٢٤ في المقدّمة الفارسيّة، فقد ذكرنا كلامه بلفظه باللّغة العربيّة.

مراحل السّير و السّلوك العلميّ و العمليّ للسيّد حيدر و مؤلّفاته و مشايخه

إنّ الّذي ينفعنا في مقام بيان أحوال السيّد حيدر الآمليّ و التعرّف على مراحل سيره و سلوكه العلميّ و العمليّ، و تعداد مؤلّفاته و ذكر أسماء مشايخه هو ما كتبه السيّد نفسه بقلمه المبارك و سنورد عباراته بعينها، و ذلك لأنّ أغلب كتب التراجم إمّا أنّها لم تذكر جميع ما يتعلّق بأحوال السيّد، و إمّا أنّها مشتملة على بعض الاشتباهات و الأغلاط، و إن كنّا نعتمد على كتب التراجم في ذكر بعض أحوال السيّد الّذي كان صحيحا عندنا و سنذكره إن شاء اللّه مع ذكر مصادره، و لكن الّذي هو مورد الاعتماد و الاهتمام هو ما ذكره السيّد نفسه في مراحل حياته، و سنعتمد في ذلك على ثلاثة كتب من مؤلّفاته و هي تفسير المحيط الأعظم، و مقدّمات نصّ النّصوص، و جامع الأسرار.

أمّا ما ذكره في أحواله في التفسير فانّه ذكر في أواخر المقدّمة الاولى من المقدّمات السّبع أجداده و انتسابه للأئمّة الأطهار عليهم السّلام و سيره و سلوكه العلميّ و العمليّ، و ذكر أيضا استاذه في العلوم الظاهريّة و النقليّة و أيضا ذكر استاذه في العلوم العرفانيّة، و كذلك ذكر ما يتعلّق بالإجازتين الصّادرتين له من استاذيه فخر المحقّقين ابن العلاّمة الحلّي، و الشيخ عبد الرحمان بن أحمد القدسي، و فيهما إشارات إلى بعض أحواله. قال:

أمّا البحث الأوّل المتعلّق بنسبتنا ... الخ، فراجع ص ٢٤ إلى ٣٠ من المقدّمة الفارسيّة ذكرنا عبارات السيّد بألفاظها العربيّة.

و أمّا ما ذكره في كتاب مقدّمات نصّ النّصوص فانّ السيّد في هذا الكتاب أراد أن يبيّن سبب تأليفه لكتاب نصّ النّصوص و لكن ابتدأ أوّلا بذكر قسم من مؤلّفاته المهمّة بحسب الترتيب الزمنيّ لهذه المؤلّفات، و يستفاد من خلال كلماته أنّه

كتب التفسير بعد ثلاثين سنة من الإشتغال بالتأليف و التصنيف لمختلف الكتب و الرسائل، و آخر كتاب ألّفه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٣

السيّد بعد التفسير هو كتاب «نصّ النّصوص في شرح فصوص الحكم».

و أشار السيّد أيضا إلى مؤلّفاته بأنّه كتب بعضها باللّغة العربيّة و بعضها باللّغة الفارسيّة و لكن أكثرها كان باللّغة العربيّة.

كما يستفاد من كلمات السيّد إضافة إلى أسماء مؤلّفاته ما تحتويه هذه المؤلّفات من المطالب و الأبحاث، و لذا يمكن التعرّف الإجماليّ على محتويات هذه الكتب من خلال الوقوف على عبارة السيّد الّتي ذكر فيها أسماء كتبه.

قال في كتاب نصّ النّصوص ص ٨:

اعلم، أيّها الطالب كحّل اللّه عين بصيرتك بنور الهداية و التوفيق، أنّي لمّا فرغت من كتاب: مجمع الأسرار و منبع الأنوار ... إلى آخر العبارة راجع ص ٣١ إلى ص ٤٠ في المقدّمة الفارسيّة نقلناها بلفظها العربيّ.

رسالة نقد النقود

و من جملة الرسائل الّتي ألّفها السيّد المؤلّف رسالته نقد النقود، و هي تتناول مبحث الوجود، و قد بحثها بحثا فلسفيّا و عرفانيّا، و قد طبعت هذه الرّسالة في ضمن كتابه جامع الأسرار.

و قد ذكر السيّد سبب تأليفه لهذه الرّسالة و بيّن مجمل ما تحتويه، حيث قال في بدايتها بعد الخطبة:

«أمّا بعد، فلمّا فرغت من: رسالة الوجود، و ما اشتملت عليه من إثبات إطلاقه و بداهته و وجوبه و وحدته و ظهوره و كثرته، و من المعارضة بين المتكلّمين و الحكماء الموحّدين، و الاستشهاد بكلّ واحد منهم بعد الاستشهاد بكلام اللّه تعالى و كلام أنبيائه و أوليائه عليهم السّلام، و لمّا فرغت أيضا من توابعها و لوازمها من الأمثال المضروبة و النكات المطلوبة، التمس بعض إخواني الّذي كان عندي أعزّ من انسان العين في العين، أن أنتخب منها انتخابا مختصرا مفيدا، قليلا في الحجم، كثيرا في المعنى، ... و سمّيتها بـ«نقد النقود في معرفة الوجود».

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٤

تقرير عن السّفر الإلهي (الهجرة) للمؤلّف و من آثاره نقلا من كتاب مقدّمات نصّ النّصوص

ذكر السيّد الجليل حيدر الآملي في خاتمة كتابه نصّ النّصوص مبحثا يبتني على بيان كيفيّة تحصيل شرح الفصوص، و أيضا كيفيّة تحصيل تفسير المحيط الأعظم عن طريق الفيوضات الإلهيّة، و ذكر في ضمنه بصورة مجملة ابتداء توجّهه نحو الحقّ سبحانه و تعالى، و حركته و سفره إلى مكّة و بيت اللّه الحرام و مدينة الرّسول (ص) و العتبات العالية المقدّسة:

قال في ص ٥٣٤ (مقدّمات نصّ النّصوص):

و الحاصل من هذه الأبحاث هو أنّ مكّة كما صارت موجب الفتح ...- إلى آخر العبارة- ذكرناها في ص ٤١ و ٤٢ و ٤٣ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ، فراجع.

إشارة اخرى إلى ترجمة المؤلّف و آثاره من كتاب جامع الأسرار

أشار السيّد حيدر الآمليّ- كما هي طريقته في مؤلّفاته- إلى أحواله في سيره و سلوكه و إلى العنايات الإلهيّة الّتي نالها في مطلع كتابه جامع الأسرار، و كذلك أشار إلى بعض مؤلّفاته و سبب تأليفها، كما أنّه ألمح إلى أنّه نال علوما لا متناهية عن

طريق العناية الإلهيّة.

و أشار أيضا إلى طريقته الخاصّة و عقيدته في التشيّع و العرفان و يقول:

كنت أسعى منذ عنفوان الشباب إلى تحصيل القواعد الظاهريّة للشرع الخاصّة بالشيعة الإماميّة، و هكذا تحصيل العلوم الشرعيّة الباطنيّة الخاصّة بالعرفاء، و إيجاد التوفيق بين قواعد الفئتين لأنّ المطابقة بينهما قائمة و موجودة. و في عقيدة المؤلّف أنّه لا فرق بين التشيّع و العرفان، و أنّ الشيعيّ الحقيقيّ هو العارف، و العارف الحقيقيّ هو الشيعيّ الإماميّ، (و سيأتي الكلام حول هذا الموضوع بصورة مفصّلة في قسم آخر من هذه المقدّمة).

و أمّا ما ذكره السيّد في كتاب جامع الأسرار (حول ما ذكرنا) فبعد ذكر الخطبة قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٥

أمّا بعد فإنّي لمّا فرغت من رسالة: منتخب التأويل ... الخ، راجع في نفس العبارة باللّغة العربيّة ص ٤٤ إلى ص ٤٦ من المقدّمة الفارسيّة.

ترجمة السيّد حيدر في كتب التراجم

رياض العلماء و حياض الفضلاء ج ٢ ص ٢١٨ و ص ٣٢٥.

روضات الجنّات ج ٢ ص ٣٧٧.

أعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٧٢.

مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٧٦.

راجع في كلماتهم المنقولة ص ٤٦ إلى ص ٥٠ من المقدّمة الفارسيّة.

فيض الحقّ سبحانه و تعالى للمؤلّف و علمه اللاّمتناهي

ذكر السيّد في موارد متعدّدة من كتبه أنّه كان موضعا للعناية و التّفضّل من ناحية القدس الإلهي و موردا للنورانيّة الخاصّة و الفيض الإلهي و العلم اللاّمتناهي، و أشار إلى ذلك في المواطن التالية:

ألف- في كتابه نصّ النصوص ص ١٢ ضمن تعداد مؤلّفاته و أنّ منها تفسير المحيط الأعظم، قال حول تأليف هذا التفسير القيّم:

إنّه ليس بكسب و لا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة الرحمن.

ب- و أيضا في خاتمة مقدّمات كتاب نصّ النّصوص ص ٥٣٦ قال ضمن بيان سكناه في النجف الأشرف:

«فرجعت بالسّلامة إليه، و سكنت فيه، مشتغلا بالرّياضة و الخلوة و الطّاعة و العبادة الّتي لا يمكن أن يكون أبلغ منها و لا أشدّ و لا أعظم، ففاض على قلبي من اللّه تعالى و من حضراته الغيبيّة في هذه المدّة غير ما قلته من: «تأويل القرآن» و «شرح الفصوص»، من المعاني و المعارف و الحقائق و الدّقائق الّتي لا يمكن تفصيلها بوجه من الوجوه لأنّها من كلمات اللّه الغير القابلة للحصر و العدّ و الانتهاء و الانقطاع».

ج- و قال في فاتحة الكتاب في مقدّمة كتاب جامع الأسرار ص ٦:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٦

تركت للنّاس دنياهم و دينهم شغلا بذكرك يا ديني و دنيائي.

راجع في عبارته باللّغة العربيّة الكاملة ص ٥١ إلى ص ٥٣ في المقدّمة الفارسيّة.

و لا يخفى أنّ هذه الموهبة الإلهيّة ليست مختصّة بالسيّد حيدر، و ليس هو الشخص الوحيد الّذي يدّعي مثل هذه الدّعوى من أنّه مورد عناية الحقّ تعالى، فإنّ القونوي أشار إلى ذلك في كتابه «مفتاح غيب الجمع و الوجود» في بداية بحثه حول الإنسان و يذكّر فيه بإفاضة الحقّ سبحانه و تعالى عليه و قال: إنّ ما سنذكره من البحث حول الإنسان هو ما تسعه قدرة البيان و الألفاظ و الوقت، و إلاّ فما حصل لنا من هذا المعنى خارج عن حدود الوصف و البيان و النطق و العبارات، و يقول: «الشرح لهذا الوارد بلسان الوقت و الحال و المرتبة»، و قال ابن فناري في شرح هذه العبارة:

«لا بلسان حقيقة كما ورد إذ لا يسعه نطاق العبارة و فضاء الإشارة» مصباح الانس ص ٢٨٧.

و كذلك شيخ الإشراق فانّه قال في آخر كتاب حكمة الإشراق ص ٢٥٩ و في شرح حكمة الإشراق ص ٥٦٢ ما هذا لفظه:

و سيعلم الباحث فيه أنّه قد فات المتقدّمين و المتأخّرين ما يسرّ اللّه على لساني منه، و لقد ألقاه النافث القدسي في روعي في يوم عجيب دفعة، و إن كانت كتابته ما اتّفقت إلاّ في أشهر.

و لنتوجّه الآن إلى الكلمات النورانيّة الصّادرة من المجلسيّ الأوّل (محمّد تقي المجلسيّ) في كتاب روضة المتّقين ج ١٢ ص ١٢٧ حيث يقول:

و الّذي وجد هذا الضعيف في أزمنة الرياضات انّي كنت في مطالعة التفاسير إلى أن رأيت في ليلة فيما بين النوم و اليقظة سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقلت في نفسي: تدبّر في كمالاته و أخلاقه، فكلّما كنت أتدبّره تظهر لي عظمته صلّى اللّه عليه و آله و أنواره بحيث ملأ الجو و استيقظت فألهمت بأنّ القرآن خلق سيّد الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فينبغي أن أتدبّر فيه فكلّما ازداد تدبّري في آية واحدة كان تزداد الحقائق إلى أن ورد عليّ من العلوم ما لا تتناهى دفعة واحدة، ففي كلّ آية كنت أتدبّر فيها كان يظهر مثل و لا يمكن التصديق بهذا المعنى قبل الوقوع فانّه كالممتنع العادي، و لكنّ غرضي من ذكره الإرشاد للإخوان في اللّه. انتهى كلامه (رضي اللّه عنه).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٧

و أيضا قال محيي الدّين بن عربي في كتابه فصول الحكم في آخر الفصّ الآدمي ما هذا لفظه:

«لمّا أطلعني اللّه تعالى في سرّي على ما أودع في هذا الإمام الوالد الأكبر، جعلت في هذا الكتاب منه ما حدّ لي لا ما وقفت عليه، فإنّ ذلك لا يسعه كتاب و لا العالم الموجود الآن.

و يقال لهذا القبيل من الإطّلاع و المعرفة و العلم: العلم اللّدنيّ و العلم الإرثيّ و العلم الوهبيّ، و هو يحصل عن طريق طهارة الباطن و الرياضات الشرعيّة و المداومة عليها، و أيضا يحصل عن طريق قرب النوافل و قرب الفرائض و يحصل من طريق العمل بالأربعينيّات و الإخلاص للّه سبحانه و تعالى و هذه كلّها حقيقة واحدة توجب أن يكون الإنسان إنسانا طاهرا بحيث تجعله مستعدّا لنيل الإفاضة من ناحية اللّه سبحانه و تعالى.

و من الواضح جدّاص إنّ الإنسان إذا أصبح إنسانا قرآنيّا و سرى القرآن في وجوده و صار طاهرا فلا يمسّه إلاّ المطهّرون فيصبح عارفا بالباطن، و اتّصل باطن ذلك الإنسان و معرفته و علمه بالعلوم الّتي لا حدّ لها و لا نهاية فتفتح على وجهه و قلبه نافذة الى المطلق، لأنّ القرآن كلام الحقّ المطلق المتعال و علوم القرآن و معارفه و حقائقه لا نهاية لها، و عليك بالتأمّل و الدقّة و التدبّر في الآيات و الروايات التالية لكي تعرف و تؤمن بما قلنا:

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ

الأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (الأنعام ٥٩).

وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (يونس ٦١).

وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ (يس ١٢).

قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ (المائدة ١٥).

الر، تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف ١ و ٢).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٨

تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ، هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (النمل ١ و ٢).

حم، وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (الدخان ١- ٣).

فمن خلال التأمّل في الآيات السابقة و الجمع بينها جنبا إلى جنب يعلم: أنّ المراد من الكتاب المبين هو القرآن، لا اللّوح المحفوظ أو أم الكتاب، أو الخزائن الإلهيّة أو غير ذلك.

نعم نفس هذا القرآن فيه من الحقائق و المعارف ما لا نهاية له لأنّه مرتبة نازلة من مراتب العلم الإلهي و هو مطابق لكلّ العوالم أي القرآن وجودها الكتبي و الكلامي، و كذلك الإنسان الكامل، فهو كون جامع أي هو جامع لتمام الأكوان و العوالم.

و لم يكتب في تاريخ الإسلام تفسير للقرآن يبيّن جميع الحقائق الّتي يحويها القرآن، بل إلى الآن لم يصل أحد إلى أعماق ذلك المحيط الّذي لا ساحل له، بل لم يقم أحد بالسباحة فيه و لم يعرف حدود ساحله بعد.

نعم الّذي يمكن أن يدرك حقائق القرآن هم أهل البيت و هم أهل العصمة و الطهارة، الّذين هم نفس القرآن، و الّذين هم معنى الثقل الأكبر في المقام و في هذه المرحلة و ان كان بحسب الظاهر و في مقام التشريع و بيان الأحكام أنّ القرآن هو الثقل الأكبر و هذا هو المستفاد من الحديث المتواتر بين الفريقين (حديث الثقلين) بل جاء في كلمات أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام أيضا حيث قال:

«و اللّه سبحانه يقول: ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ، و فيه تبيان لكلّ شيء، و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا ...» إلى أن قال: «و إنّ القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا تفنى عجائبه، و لا تنقضي غرائبه، و لا تكشف الظلمات إلاّ به» نهج البلاغة الخطبة ١٨ صبحي الصالح.

و عنه عليه السّلام أيضا قال:

«و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من (شرح) باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم».

قال السيّد الجليل ابن طاوس في كتابه سعد السعود ص ٢٨٤:

و ذكر أبو عمر الزاهد و اسمه محمّد بن عبد الواحد في كتابه بإسناده: أنّ عليّ بن أبي طالب قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ١٩

«يا أبا عبّاس إذا صلّيت عشاء الآخرة فالحقني إلى الجبانة، قال: فصلّيت و لحقته و كانت ليلة مقمرة، قال: فقال عليه السّلام لي: ما تفسير الألف من الحمد، قال: فما علمت حرفا أجيبه، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال لي: فما تفسير اللاّم من الحمد، فقلت: لا أعلم، قال: فتكلّم فيها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال: ما تفسير الدّال من الحمد، قلت: لا

أدري، قال: فتكلّم فيها حتّى برق عمود الفجر» الحديث.

و هذا شاهد آخر بأنّ القرآن بحر موّاج لا نهاية لحقائقه و معارفه و معانيه.

طريق تحصيل العلم و المعرفة

ليس تحصيل العلم و المعرفة منحصرا بالطريقة العامّة الكسبيّة فقط، يعني طريق التعلّم و التعليم و الكتاب و المطالعة و غير ذلك، بل لصيرورة الإنسان عالما طرق اخرى، و هي: طريق التزكية و التصفية، و طريق التوجّه و التقوى، و طريق القلب و الفطرة، و طريق الكشف و الشهود و الولاية، و هذه الطرق غير طريق الحسّ و العقل و التجربة و التفكّر، فانظر و تأمّل في الآيات التالية:

وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ (الطّلاق ٢).

و من المسلّم أنّه ليس المراد من الرّزق في هذه الآية الكريمة هو رزق البطن و الغرائز، لأنّه لا يحتاج الى التقوى و اللّه سبحانه و تعالى يرزق كلّ من خلق من الإنسان و إن كان غير تقيّ، كما يرزق سائر الحيوانات و الموجودات بدون شرط:

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا (هود ٦).

بل المراد هو الرزق المناسب مع شأن الإنسان من جهة حيثيّته الإنسانية و ذلك هو المعرفة و التوحيد و هذا الرزق و الزاد يتطلّب الأرضيّة المهيّئة و النفس المستعدّة، و الطّهارة، و القلب السليم.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً (الأنفال ٢٩).

الفرقان هو نفس الرّزق في الآية السابقة و في هذا المعنى آيات و روايات كثيرة.

و هناك حديث الأربعين، و قد نقل عن طريق الخاصّة و العامّة عن الرسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٠

«من أخلص للّه أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

و أيضا:

«من خلص أربعين يوما فجّر اللّه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

و إذا وضعنا هذا الحديث إلى جانب الآية الكريمة:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (البقرة ٢٦٩).

و مع التوجّه إلى أنّ القرآن يعبّر عن الدّنيا و متاعها بلفظ القليل:

قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ (النّساء ٧٧).

و من هذا يعلم أنّ أصحاب الحكمة نالوا من المواهب ما لا حدّ له و من العناية ما لا نهاية لها.

و يقول السيّد حيدر الآمليّ في ضمن بيان ضرورة قراءة و مطالعة الكتب الآفاقيّة و الأنفسيّة و القرآنيّة: إنّ التقوى هي أحسن الوسائل لإفاضة النور، و توجب إمكان مطالعة و مشاهدة حقائق العالم، و أسرار الإنسان و معارف القرآن.

و لنذكر طرفا من كلمات السيّد في هذا المعنى فقد قال:

«أنّ عبدا من عبيده مثلا إذا قام بالتقوى على ما ينبغي المشار إليه في قوله:

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران ١٠٢).

و أدّى حقّها على ما هو عليها في نفس الأمر و زال عن قلبه بعد ذلك حجاب الكثرة و التّفرقة، و اضمحلّ عن مرآة نفسه رين الظلمة و الغفلة، و وصل إلى حدّ الصقالة و الصّفاء التامّ الكامل، أفاض عليه تعالى نورا من أنواره و انفسخ عين بصيرته، و انكشف له عالم الملكوت و الجبروت، و نزّل عليه من سماء وجوده و فضله الحكمة و المعارف و العلوم و الحقائق».

فراجع في هذا أيضا تمهيد القواعد لمؤلّفه صائن الدّين عليّ بن محمّد التركة ص ١٦٧ إلى ص ١٧٥ متنا و شرحا.

و قد أشرنا إلى أنّ هذه النورانيّة و هذا الفيض الإلهيّ و المعرفة و العلم، هي الّتي تسمّى بحسب الاصطلاح بالعلم الإرثيّ و العلم اللّدنيّ، و يقول السيّد المؤلّف في «جامع الأسرار» ص ٤٥١:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢١

و العلم اللّدنيّ يكون لأهل النبوّة و الولاية، كما حصل للخضر عليه السّلام حيث أخبر اللّه تعالى فقال:

وَ عَلَّمْناٰهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (الكهف ٦٥).

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنّ رسول اللّه أدخل لسانه في فمي، فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كلّ باب ألف باب» انتهى كلام السيّد رضي اللّه عنه.

و معلوم أنّ الباب غير المدينة، و هذه الأبواب ألف ألف (مليون) باب، باب للورود إلى ألف ألف مدينة علم، و معلوم أيضا في المدينة توجد أنواع كثيرة لا تعدّ و لا تحصى من الكليّات و الجزئيّات من أقسام العلم، و معلوم أيضا أنّه ينكشف من كلّ واحد من الكلّيّات علوم كثيرة.

و ذكر الحديث المذكور السيّد الجليل ابن طاوس في كتابه «سعد السّعود» ص ٢٨٤ نقلا عن الغزّالي في كتابه «بيان العلم اللّدنيّ» و رسالة الغزالي في العلم اللّدنيّ منقولة و مذكورة في هذا الكتاب، فراجع.

و ذكر ابن الفناري أيضا في «مصباح الانس» ص ٥ في ما يرتبط بالعلم الوهبيّ كلاما عن كتاب «الفكوك» لاستاذه القونوي:

«أمّا علم الأديان فقسمان: علم الظاهر، و علم الباطن، و كلّ منهما مع تشعّبهما من القرآن و الحديث كأنّ علومهما نهران ينصبّان في حوض كوثر تتفرّع منه جداول علوم الكسب من جانب، و علوم الوهب الّتى عبّر عن مظاهرها في الجنّة بالأنهار الأربعة من جانب آخر.

و ينقل أيضا في ص ٣٠٧ عنه أيضا:

إنّ الأنهار الأربعة المذكورة في قوله تعالى:

فِيهٰا أَنْهٰارٌ مِنْ مٰاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهٰارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهٰارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّٰارِبِينَ وَ أَنْهٰارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى (محمّد ١٥).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٢

منامات السيّد المؤلّف و تمثّلاته

ذكر السيّد المؤلّف في ما يتعلّق بالمنامات و التمثّلات الّتي حصلت له من عهد السلوك و الشباب، و نقل بعضا منها في

«مقدّمات كتاب نصّ النّصوص» ص ١١٢ و قال:

اعلم أنّي كنت في حالة السلوك بأصبهان و كنت عازما على السّفر إلى بغداد ...

راجع و طالع نفس العبارة باللّغة العربيّة ص ٥٩ و ٦٠ من المقدّمة الفارسيّة ذكرناها فيها.

و ذكر من جملة المنامات ثلاثة اخرى أيضا في ذلك الكتاب في القاعدة الثالثة، و في مقام اثبات خاتميّة الولاية المطلقة لأمير المؤمنين عليه السّلام و كذلك في بيان اثبات خاتميّة الولاية المقيّدة لصاحب الزمان إمام العصر أرواحنا فداه، و في ضمن الإشكال و الإيراد على الشيخ الأكبر الّذي يدّعي صحّة مدّعاه بثلاثة طرق: النقل و العقل و الكشف.

و في القسم الثالث من الكتاب حيث ما يريد السيّد أن يثبت مدّعاه بطريق الكشف قد أشكل على الشيخ الأكبر على صحّة نومه و كشفه و أيّد صحّة منامات نفسه و كشفيّاته بالشواهد.

و الّذي نراه هنا نقل تلك المنامات، قال في ص ٢٥٦ في «نصّ النّصوص»:

راجع ص ٦١ إلى ص ٦٣ من المقدّمة الفارسيّة نقلناه باللّغة العربيّة هناك.

الموازنة بين المؤلّف و سلمان من لسانه

ذكر السيّد في كتاب مقدّمات نصّ النّصوص: أنّ محيي الدّين بن عربي من محبّيّ أهل بيت النبيّ (ص)، و نسب إليه حسن الإعتقاد بالنسبة إليهم عليهم السّلام، و نقل شاهدا على ذلك من الفتوحات في باب ٢٩ و هو يتعلّق بسلمان و فضيلته توضيحا للحديث الوارد:

«سلمان منّا أهل البيت». ثمّ ذكر السيّد تحت عنوان: «نكتة شريفة» الموازنة بينه و بين سلمان الفارسي من جهة النّسب الظاهريّ و المعنويّ، و استنتج من ذلك أنّه (أي

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٣

السيّد) أفضل من سلمان من كلا الجهتين، قال في كتاب نصّ النّصوص ص ١٤٦:

و هاهنا نكتة شريفة و لطيفة، إلى آخر العبارة، راجع ص ٦٣ و ٦٤ من المقدّمة الفارسيّة.

التأليف و التصنيف باللّغتين: العربيّة و الفارسيّة

إنّ طريقة أغلب علماء الإسلام- و منهم السيّد حيدر الحلّيّ- هي أنّ كتاباتهم و مؤلّفاتهم و رسائلهم كتبت باللّغة العربيّة، و أما السيّد فله مع ذلك مؤلّفات كتبها باللّغة الفارسيّة.

و لا يخفى أنّ هذه الطريقة حسنة جدّا و ذلك لأنّ اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم و لغة الأحاديث و الأدعية و أيضا لغة الصّلاة و ساير العبادات، أضف إلى ذلك أنّ اللّغة العربيّة هي محور الوحدة للامّة الإسلاميّة في العالم، و لكن هذه الطريقة مع أنّ فيها فوائد كثيرة قد توقع بعض المستشرقين، و أحيانا بعض علماء العرب في الاشتباه و ذلك أنّ بعض المؤلّفات العربيّة تحسب أنّها صادرة من علماء العرب، و يعرّف مؤلّفوها على أنّهم عرب و الحال أنّهم ليسوا بعرب بل حكماء و علماء ايرانيّين، و من هنا يقع الخلط و الاشتباه في تعريف هؤلاء العلماء و نسبتهم و أوطانهم، و ما ذلك إلّا لأنّ هؤلاء العلماء كتبوا مؤلّفاتهم باللّغة العربيّة.

و نؤكّد هنا على هذا القول منّا ليس في مقام إبراز العصبيّة- و العياذ باللّه- و ذلك لأنّ الهدف الّذي يسعى إليه كلّ المفسّرين و الفقهاء و الحكماء و العرفاء، بل جميع مفكّري الإسلام هو الإسلام و معرفته و بيانه و إعلاء كلمته و هو الأصل للجميع، و كذلك يجب أن يكون الإسلام و القرآن هما المحور الأساس، فإنّ ما وصل إليه علماء الإسلام من

الحياة العلميّة و دوامها إنّما هي من بركات الإسلام.

ثمّ إنّ الإسلام و تبليغه و الدفاع عنه تنمحي فيه جميع الفوارق من صنف أو وطن أو نحو ذلك، فلا عرب و لا عجم و لا شرق و لا غرب في نظر الإسلام و بالنّسبة إلى الإسلام.

و الّذي دعانا إلى ذلك هو أنّ مقتضى البحث في التراجم و دراسة أحوال العلماء

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٤

و المفكّرين يتطلّب الدّقّة في بيان ترجمة الأشخاص و تاريخهم، و الّتي تفرضها الأمانة العلميّة حذرا من الوقوع في الخلط و الاشتباه.

و أمّا موضوع الوحدة و التوحيد في العمل و العقيدة و في ما يجمع شمل المسلمين فهو أمر لا يجوز لأحد أن يمسّه بسوء و لا يحقّ لأحد أن يخدشه، فإنّ إيجاد الوحدة و المحافظة عليها بين المسلمين من أهم الواجبات.

كما أنّ التوحيد في العقيدة و العمل أصل من الأصول الأساسيّة:

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا (آل عمران ١٠٣).

كذلك الوحدة في دعوة النبيّ (ص) أساس:

قُلْ إِنَّمٰا يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ (الأنبياء ١٠٨).

و هي أيضا محور في الدعوة إلى الإيمان:

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (التوحيد ١).

و هي أيضا غاية الدعوة:

وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً واحِداً (التوبة ٣١).

و كما أنّ التوحيد و الوحدة أساس في الخلقة أيضا:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ واحِدَةٌ (القمر ٥٠).

كما أنّهما محور الخلقة أيضا:

اللهُ لا إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ الأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ (طه ٨).

و كما أنّ التوحيد و الوحدة غاية للخلقة:

وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ (النجم ٤٢).

و بهذا البيان يظهر أنّ الاعتبارات الشرعيّة لها أصل و أساس في الحقائق و الواقعيّات التكوينيّة، و كلّها ترجع إلى مبدأ و نهاية واحدة:

إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ راجِعُونَ (البقرة ١٥٦).

و المبدأ هو عين المنتهى و المنتهى هو عين المبدأ:

هُوَ الأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ (الحديد ٣).

هذا و اغتنم ما ذكرناه و لنرجع إلى أصل المطلب:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٥

الاعتذار عن العجمة في العبارات إنّ ما تتمتّع به كتابة السيّد هو السّلاسة في التعبير و العذوبة في البيان و المهارة في

توضيح المعاني الدقيقة، و أغلب عبارات السيّد في جميع كتبه و رسائله لا تحتاج إلى شرح و توضيح، و عباراته كافية لبيان المطالب بصورة تبلغ حدّ الكمال من الوضوح، و لكن مع ذلك و في غاية التواضع و الخشوع لا ينكر أن يكون كلامه مشتملا على العجمة و لذلك يعتذر عنه، قال في كتاب جامع الأسرار ص ١٣ حول ما يتعلّق بالأمرين المتقدّمين:
... إنّه إذا وجد أحد في تركيبه و ألفاظه عجمة ... إلى آخر العبارة، فراجع ص ٦٧ في المقدّمة الفارسيّة نقلناها بلفظها العربيّ.

نقل المطالب من كتب القوم

من جملة ما جرى بقلمه الشريف نقل عبارات القوم و مطالبهم ...
راجع في تفصيل هذا العنوان ص ٦٨ إلى ص ٧١ في المقدّمة الفارسيّة كتبناه هناك أيضا باللّغة العربيّة.

تكرّر بعض المطالب و العبارات في كتب المؤلّف

إنّ من جملة خصائص السيّد المؤلّف أنّه يكرّر المطالب و العبارات أحيانا في الكتاب الواحد أو أكثر من كتاب، و هذه الحقيقة تلاحظ في كتاب جامع الأسرار و التفسير بشكل واضح، مثلا في المقدّمة السّادسة من المقدّمات السّبع للتفسير هي رسالة «أسرار الشريعة» مع تغييرات جزئيّة في بعض العبارات الّتي يقتضيها موضوع الكتاب و فصوله و أبحاثه و إضافة بعض المطالب لا توجد في تلك الرسالة. و الهدف من طرح هذا العنوان:
أنّ السيّد قد وجّه هذا العمل منه و اعتذر عنه، قال في ص ٦١٢ من كتاب جامع الأسرار في ضمن التذكير ببعض الوصايا في مطالعة هذا الكتاب و بيان خصوصيّاته و قال:
... و منها أنّه لا ينبغي أن يحكم أحد بتكرار فيه لفظا أو معنى إلى آخر العبارات.
راجع ص ٧٢ من المقدّمة الفارسيّة كتبناه فيها بلفظها العربيّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٦

البعد عن التعصّب في المباحث العلميّة

و من جملة خصوصيّات مؤلّفات السيّد حيدر أنّه في مباحثه بعيد عن التعصّب و هو بريء من ذلك، و يسعى دائما إلى طرح مطالبه و أبحاثه مدعومة بالدّليل العقليّ و النقليّ و الكشفيّ، كما أنّه يسعى أيضا إلى إصلاح ذات البين و يتجنّب المعارضة و الجدال بغير الّتي هي أحسن.
و هو يعتقد أنّ باطنه أصبح من أثر الرياضات الشرعيّة و التوجّه و الوصول، إلى مقامات الولاية، بعيدا عن الظّلمات و دركات العصبيّة و المعارضة و خرجت نفسه عن هذه الأمور الظلمانيّة.
هذا و قد عنون السيّد في ذيل القاعدة الرابعة من كتاب جامع الأسرار ص ٢٣١ بحثا في إثبات الولاية و الإمامة و العصمة للأئمّة الأطهار عليهم السّلام، ذكر شبهة من بعض الصوفيّة في هذا الموضوع و أجاب عنها بصورة مفصّلة، و قال في آخر بحثه و جوابه عن تلك الشبهة في ص ٢٥٤:
و ينبغي أن تعرف أيضا أنّه ليس مرادنا من هذا البحث معك و مع غيرك العصبيّة و الجدال نعوذ باللّه منه، بل المقصود إصلاح ذات البين و إيصال كلّ واحد منكم إلى حقّه لقوله تعالى:
لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ (النساء ١١٤).

راجع أيضا في تتمّة العبارة ص ٧٣ من المقدّمة الفارسيّة.

التواضع و طلب الإصلاح

لم يكن السيّد في مؤلّفاته مغرورا و لم يخرج نفسه عن الاشتباه بل كان يطلب من أرباب العلم و الكشف إصلاح مؤلّفاته كما يطلب دقّة النظر أيضا.

قال في خاتمة مقدّمة كتابه جامع الأسرار:

فالمسئول من عظماء أهل الذّوق و أساطينهم، و الملتمس من ملوك أرباب الكشف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٧

و سلاطينهم أن ينظروا في هذا الكتاب نظر إصلاح و تنقيح، لا نظر مسامحة و إغماض، و أن يتصرّفوا فيه تصرّف الشيخ في تلميذه، لا تصرّف المحبّ في محبوبه، لأنّ ثمرة هذا بالحقيقة لا ترجع إلاّ إليهم لقوله تعالى:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحٰاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلاٰ كُفْرٰانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كٰاتِبُونَ (الأنبياء ٩٤).

و فائدته لا تصل بالتحقيق إلاّ إلى حضرتهم، لقوله تعالى:

أَنِّي لاٰ أُضِيعُ عَمَلَ عٰامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ (آل عمران ١٩٥).

شعر:

جزى اللّه خيرا من تأمّل صنعتي و قابل ما فيها من السّهو بالعفو

و أصلح ما أخطأت فيها بفضله و فطنته و استغفر اللّه من سهوي

التشيّع و العرفان

إنّ من جملة الخصوصيّات الشخصيّة للسيّد حيدر أنّه في جميع كتبه و لا سيّما في كتاب جامع الأسرار كان مدافعا عن حريم الشيعة الإماميّة و عن حريم العرفان الحقيقي، و يعتقد بأنّ مذهب الشيعة الإثنا عشريّة هو مذهب الحقّ من بين المذاهب الإسلاميّة، و أنّ الشيعة الإماميّة هم أهل السعادة، و التشيّع لمدرسة أهل بيت العصمة و الطّهارة هو الصراط المستقيم لأنّه لا طريق إلى الحقّ إلاّ طريق أهل البيت (ع) الّذي هو نفس طريق النبيّ (ص) و طريق اللّه سبحانه و تعالى:

و كذلك يعتقد السيّد أنّه لا فرق بين التشيّع الحقيقيّ و بين العرفان الواقعيّ، و أنّ عقائد و اصول كلّ من التشيّع و العرفان أخذت من الأئمّة (ع) و لذلك فالشيعيّ الحقيقيّ هو العارف الواقعيّ كما أنّ العارف الحقيقيّ هو شيعيّ واقعيّ.

و إليك طرفا من كلمات السيّد في هذا المجال. قال في جامع الأسرار ص ٥٣:

«التمس منّي جماعة من إخواني الصّالحين» إلى آخر العبارة.

و أيضا قال في نفس الكتاب ص ٢١٦:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٨

«في الشبهات الواردة على التوحيد الوجوديّ» إلى آخر العبارة.

و أيضا قال في ص ٢٢٠: «و أمثال هذه المفاسد و الشبهات كثيرة» العبارة.

و أيضا قال في ص ٨: «و لا شكّ أنّ هذا يصعب على بعض الأذهان» العبارة.

راجع في جميع هذه الكلمات المنقولة من جامع الأسرار ص ٧٥ إلى ص ٧٩ من المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ.
تبصرة: وردت في كلمات السيّد المؤلّف بعض المصطلحات في موارد متعدّدة من مؤلّفاته مثل اصطلاح: الوحدة في الكثرة و الكثرة في الوحدة و غير ذلك، و هذه كلّها من جملة المصطلحات الرائجة في الحكمة المتعالية لصدر المتألّهين (ره) و قد بنى على أساس هذه الاصطلاحات أفكارا كثيرة و نظريّات عالية محكمة. و تحتاج الموازنة بين المصطلحات الرائجة في مؤلّفات السيّد حيدر و مؤلّفات صدر المتألّهين إلى فرصة اخرى كافية للتحقيق و الفحص و التتبّع، و إن كان مجال الموازنة المذكورة و التطبيق تتناسب مع كتابة هذه المقدّمة إلاّ أنّ الفرصة فعلا ليست تحت الإختيار. و لكن إذا أدّيت هذه المهمّة و قام بها أيّ قلم مبارك ستكون نافعة و لطيفة جدّا، و لعلّ اللّه سبحانه يحدث بعد ذلك أمرا.

الجمع بين الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة

من جملة ما يختصّ به القلم الشريف للسيّد حيدر الآملي و آثار وجوده هو الجمع بين الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و بيان حقيقة هذه الأمور النورانيّة الثلاثة:
و قد كان للسيّد قدّس سرّه توجّه خاصّ لهذا الموضوع و ذكره مكرّرا في الموارد المتعدّدة من مؤلّفاته.
قال في جامع الأسرار، هناك أربع قواعد:
١- الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة.
٢- النبوّة و الرّسالة و الولاية.
٣- الوحي و الإلهام و الكشف.
٤- الإسلام و الإيمان و الإيقان.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٢٩

ثمّ أعقب ذلك بالبحث المفصّل.
و أيضا ذكر هذا الموضوع في «رسالة الوجود» و جعله في صورة مقدّمة لتلك الرّسالة.
و كذلك بحث عن هذا الموضوع في رسالة: «أسرار الشريعة و أطوار الطّريقة و أنوار الحقيقة» بحثا مستقلاً و مفصّلا مع أبحاث مختلفة حوله.
و أخيرا بحث عن هذا الموضوع في المقدّمة السّادسة من المقدّمات السّبع للتفسير بصورة مفصّلة أيضا.
و استند في أبحاثه القيّمة حول هذا الموضوع إلى آيات القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة.
ذكرنا بعض عبارات السيّد في هذا الموضوع، كما ذكرنا أيضا بعض الكلمات عن صدر المتألّهين و العلاّمة الطباطبائي و عزيز الدّين النسفي في ص ٨٠ إلى ص ٨٥ في المقدّمة الفارسيّة، فراجع هناك.
و نترجم هنا ما قاله عزيز الدّين النسفي في كتابه «الإنسان الكامل» ص ٣:
قال: الشريعة قول الأنبياء و الطريقة فعل الأنبياء و الحقيقة رؤية الأنبياء:
«الشريعة أقوالي و الطريقة أفعالي و الحقيقة أحوالي».
يجب على السّالك أوّلا أن يتعلّم من الشريعة ما لا بدّ من علمه، و بعده من عمل الطريقة ما لا بدّ منه و يأتي به حتّى يتمكّن أن يحصل على أنوار الحقيقة بقدر سعيه و جهده.
كلّ شخص يقبل ما قاله النبيّ (ص) فهو من أهل الشريعة.

و كلّ شخص يعمل ما يعمل النبيّ (ص) فهو من أهل الطريقة.

و كلّ شخص يرى ما يراه النبيّ (ص) فهو من أهل الحقيقة.

فالطائفة الّتي نالت هذه الأمور الثلاثة هي قادة الخلائق و قدوتهم، و أمّا الطائفة الّتي لم تنل شيئا منها فهي ناقصة و تحسب في عداد البهائم، قوله تعالى:

وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (الأعراف ١٧٩).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٠

بيان العرفان بلسان البرهان و الجمع بين البرهان و العرفان و القرآن

من جملة سيرة السيّد و طريقته في إيضاح المعارف العرفانيّة و بيان حقائق العرفان هي استخدام البرهان في ذلك، و إضافة إلى ذلك أنّه جعل البرهان و العرفان في خدمة القرآن، و قد كان يستشهد على إثبات المطالب بالقرآن، و هذا في الحقيقة جمع بين البرهان و العرفان و القرآن، و أنّ البرهان و العرفان يخدمان القرآن، و تتّضح هذه الحقيقة من خلال المطالعة الإجماليّة في كتب و رسائل السيّد و التأمّل و الدقّة في مؤلّفاته.

و نذكر هنا بعض عباراته من رسالة نقد النقود و كتاب جامع الأسرار:

قال في مطلع رسالة «نقد النّقود» ص ٦٢٣ «جامع الأسرار»:

اعلم أنّ هذا الأصل مشتمل على بحث الوجود و إطلاقه و بداهته، من طريق الموحّدين من أرباب التصوّف، عقلا و نقلا و كشفا.

و قال أيضا في ص ٦٢٨:

و قد منح لنا هاهنا بعناية اللّه و حسن توفيقه، برهان حسن لطيف لا يمكن فرار الخصم منه.

و قال في قسم آخر من هذه الرسالة ص ٦٤٧:

الوجود من حيث هو وجود، ليس بقابل للعدم لذاته، و كلّ ما ليس بقابل للعدم لذاته فهو واجب الوجود لذاته، فيجب أن يكون الوجود واجبا لذاته، إلى أن قال:

أمّا بيان الصغرى على سبيل البرهان، فلأنّه لو كان الوجود قابلا للعدم للزم اتّصاف الشيء بنقيضه، و اتّصاف الشيء بنقيضه محال، فمحال أن يكون الوجود قابلا للعدم، إلى أن قال:

و أمّا بيان الكبرى فمسلّم عند الخصم غير محتاج إلى البيان و البرهان، و الجدير بالذكر أنّ سبك البحث في رسالة نقد النقود سبك برهانيّ، و كذلك قال في كتاب جامع الأسرار ص ٦١١ في وصف ذلك الكتاب:

إنّ هذا الكتاب مشتمل على أعظم أقوال الصّوفيّة و الشيعة و معارضاتهم و مجادلاتهم، و أقوال علماء الظاهر أيضا استشهادا، و أقوال الأنبياء و الأولياء عليهم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣١

السّلام كذلك، و كان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيّة و الصوفيّة شيعة، و معلوم أنّ هذا أمر صعب خطير، لأنّ كلّ واحد منهما في حيّز ضيّق لا يمكن إخراجه إلاّ بألف حبل من حبال البراهين العقليّة و الاستشهادات النقليّة، منضمّة

إليها الاستدلالات الكشفيّة و الدلائل الذوقيّة.

و لا يخفى أنّ هذه الطريقة الفلسفيّة في كتابة العرفان النظريّ و انّ العارف عند ما يريد أن يبيّن مشاهداته و معارفه العرفانيّة و كشفيّاته يستخدم البرهان و الاستشهاد بالقرآن و الأحاديث في إثبات المطالب، و لها آثار و فوائد كثيرة، من جملتها: أنّ الحكيم و العارف يتقاربان، و العرفان و الحكمة يمتزجان.

و هكذا طريقة الجمع بين البرهان و العرفان و القرآن يعني العقل و الكشف و الوحي توجب أن تكون الحكمة و العرفان في خدمة القرآن و أنّ الحقائق و المعارف القرآنيّة تنكشف أكثر فأكثر. و ليعلم أنّ هذا النحو من الكتب و الرّسائل هي بحقّ من أحسن الكتابات في تفسير القرآن و تعطي للإنسان بصيرة زايدة في معرفة القرآن و البحث و التحقيق حول المعارف الجديدة التوحيديّة في القرآن.

و من هذا القبيل بعض ما كتبه محيي الدّين و خصوصا الفتوحات، و بعض ما كتبه شيخ الإشراق، و مؤلّفات السيّد حيدر الآمليّ تماما، و قسم كبير ممّا كتبه صدر المتألّهين من جملتها مفاتيح الغيب و أسرار الآيات و الشواهد الرّبوبيّة و الأسفار الأربعة.

و من جملة الأشخاص الّذين وفّقوا في إيضاح المطالب العرفانيّة بأساليب برهانيّة:

الشيخ الرئيس و المحقّق الطوسي في الأنماط الثلاثة من آخر كتاب الإشارات.

و من جملتهم القيصري في مقدّمات شرحه للفصوص و في شرحه أيضا.

و يقول ابن فناري في مصباح الانس ص ٣:

و اجتهدت في تأنيس القواعد الكشفيّة حسب الإمكان بما يوافق عقل المحجوبين بالنظر و البرهان، إلى أن قال:

و سمّيته مصباح الانس بين المعقول و المشهود.

و من جملة الكتب الّتي سلكت هذا الأسلوب و المنهج كتاب تمهيد القواعد تأليف صائن الدين أبي حامد الإصفهاني قال في ص ١٠:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٢

و أمّا الرسالة الّتي صنّفها مولاي و جدّي أبو حامد محمّد الإصفهاني المشتهر بتركة قدّس سرّه، فإنّه مع جعلها مشتملة على البراهين القاطعة و الحجج الساطعة على أصل المسألة وفق ما ذهب إليه المحقّقون قد بالغ في دفع تلك الشبهات بلطائف بيانه، الخ فراجع.

و من أولئك الّذين وفّقوا أكثر التوفيق صدر المتألهين، يقول العلاّمة الطباطبائي في مقالة حول صدر المتألهين و طبعت في رسالة المعرفة في ذكرى ملاّ صدرا ص ١٧:

وضع صدر المتألهين الأساس في بحوثه العلميّة و الفلسفيّة للتوفيق بين العقل و الكشف و الشرع، و استفاد في طريق كشف الحقائق الإلهيّة من مقدّمات برهانيّة و مطالب كشفيّة و مواد دينيّة قطعيّة: و إن كانت جذور هذه النظريّة تلوح من كلمات المعلّم الثاني أبي نصر الفارابي و ابن سينا و شيخ الإشراق و شمس الدّين التركة و الخواجه الطوسي، إلاّ أنّ صدر المتألهين وفّق توفيقا كاملا في القيام بهذه المهمّة و استطاع أن يثبت هذه الحقيقة. انتهى كلامه.

و قد أشار صدر المتألهين إلى هذه الحقيقة في مواطن متعدّدة، و هو يعتقد أنّ العرفان و البرهان يحتاج كلّ منهما إلى الآخر، و لا يمكن لواحد منهما بدون الآخر أن يوصل إلى الكمال المطلوب.

ذكرنا بعض كلمات صدر المتألّهين عن الأسفار الأربعة ج ١ ص ٩ و ج ٢ ص ٣١٥، و عن كتابه المبدأ و المعاد ص ٣٨١ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ ص ٨٩ إلى ٩١، فراجع.

دليل إقامة البرهان لإثبات الحقائق العرفانيّة

لا يحتاج العرفاء في إثبات و مبانيهم بالنسبة إلى أنفسهم إلى البرهان لأنّ هؤلاء يقفون على المعارف عن طريق الشهود و المشاهدة، و المشاهد في حالة الشهود لا يعتريه أي شكّ حتّى يحتاج إلى أي دليل، و لكنّهم احتاجوا إلى البرهان لجهات أخرى:

ألف- إنّهم يثبتون عن طريق البرهان مشهوداتهم و كشفيّاتهم و يحلّلونها تحليلا برهانيّا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٣

ب- إنّهم يحتاجون إلى البرهان أحيانا لبيان مكاشفاتهم لأجل أنفسهم و ذلك في حالة ما بعد الشهود و المنامات، لأنّه قد يختلف شهود عارف عن شهود عارف آخر، و قد يكون بينهما تفاوت، و في هذه الحالة لا يخلو إمّا أن يكون كلاهما على خلاف الحقّ أو واحد منهما، و لذا يلجأ إلى البرهان لإثبات ما هو الحقّ منهما أو يصل إلى الحقّ في خارج منهما.

ج- يحتاج العارف إلى البرهان لإثبات المشهودات للآخرين كالحكماء، و أهل الكلام، لأنّ هؤلاء لا يعترفون بدعاوى العرفاء، فلا مناص من وجوب الإثبات عن طريق البرهان.

و أمّا البحث في أنّ المكاشفة و التزكية هل يتمكّن بهما من الوصول إلى المعرفة، و هل يمكن أن يكونا ملاكا للتحقيق و ثبوت المعارف و الحقائق مثل العقل و التجربة و النقل مثلا، فهذا البحث خارج عن حدود هذه المقدّمة، و قد بحث هذا الموضوع و حقّقه ابن تركة في تمهيد القواعد ص ٢٣- ٢٥ و ٢٧٤- ٣٤٨ و كذلك صدر المتألّهين أيضا في الأسفار و بعض مؤلّفاته الاخرى، فراجع.

و لكن ينبغي التذكير بهذه النكتة و هي أنّه يلزم أن يكون المعيار و الميزان في صحّة الكشف في نهاية الأمر هو قول المعصوم عليه السّلام لأنّ قول المعصوم (نور لا ظلمة فيه) و لهذا مرجع العارف النهائي في معرفة صحّة كشفه و شهوده هو المعصوم و لكن هذا الرجوع إلى المعصوم و إلى الشرع المقدّس الثابت يختلف عن رجوع العوام إلى الشرع و المعصوم أي التقليد الاصطلاحي فانّ رجوع العارف الى المعصوم يكون بعد طيّ مراحل البرهان و العرفان فهو يكون فوق العرفان و البرهان و لكن التقليد الاصطلاحي يكون دون البرهان فهو تعبّد محض، و على كلّ: و الوزن يومئذ الحقّ.

و نورد هنا كلام القيصري في الفصل السادس من فصول مقدّمة شرح الفصوص ص ٣٢، قال:

و مشاهدة الصّور تارة يكون في اليقظة، و تارة في النوم، و كما أنّ النوم ينقسم بأضغاث أحلام و غيرها، كذلك ما يرى في اليقظة ينقسم إلى امور حقيقيّة محضة واقعة في نفس الأمر، و إلى امور خياليّة صرفة لا حقيقة لها شيطانيّة، و قد يخلّطها الشيطان بيسر من الأمور الحقيقيّة، ليضلّ الرّائيّ، لذلك يحتاج السّالك إلى مرشد يرشده و ينجيه من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٤

المهالك.

و الأوّل (أي الأمور الحقيقيّة المحضة) إمّا أن يتعلّق بالحوادث أو لا، فإن كان متعلّقا بها فعند وقوعها كما شاهدها، أو على سبيل التعبير و (عند) عدم وقوعها يحصل التميّز بينها و بين الخياليّة الصرفة و عبور الحقيقة عن صورتها الأصليّة إنّما هو للمناسبات الّتي بين الصور الظاهرة هي فيها و بين الحقيقة، و لظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلى أحوال الرّائيّ ...

و أمّا إذا لم يكن كذلك، فللفرق بينها و بين الخياليّة الصّرفة موازين يعرفها أرباب الذّوق و الشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أنّ للحكماء ميزانا يفرّق بين الصّواب و الخطأ، و هو المنطق.

منها (أي الموازين) ما هو ميزان عامّ و هو القرآن و الحديث المنبئ كلّ منهما على الكشف التّامّ المحمّديّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و منها ما هو خاصّ و هو ما يتعلّق بحال كلّ منهم، الفائض عليه من الاسم الحاكم و الصّفة العالية.

القرآن و مباني الإدراك و المعرفة

من المسلّم أنّ القرآن الكريم في مقام بيان مباني المعرفة ردّ الظنّ و التقليد الأعمى و ذمّه بأشدّ الذّم، و لكنّه أيّد الحسّ و التجربة، و التعقّل و التفكّر، و العقل و البرهان، و القلب و التزكية و التقوى، و الشهود و الوحي، و الجهاد و الهداية، و أكّد على هذه الموارد، و إليك نماذج من الموارد المذكورة نفيا و إثباتا في آيات القرآن الكريم. راجع ص ٩٣ إلى ص ٩٦ من المقدّمة الفارسيّة.

الجداول و الدّوائر

إحدى الخصوصيّات القيّمة الّتي امتاز بها آثار السيّد حيدر الآمليّ من قلمه الشريف هي إنشاء الدوائر و الجداول، و قد بيّن السيّد المطالب المهمّة كثيرا ذات التعقيد أو المطالب الّتي تشتمل على شقوق و فروع كثيرة في صورة دوائر و جداول و ذلك في كتاب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٥

شرح الفصوص و أيضا في هذا التفسير.

و إنّ بيان المطالب في صورة شكل الدائرة أو الجدول يكشف عن ذوق السيّد و سليقته اللّطيفة و فكره النيّر و فنّه المبدع و لا سيّما أنّ هذا كان قبل ٧٠٠ سنة و هو الأمر الّذي يتنبّه السيّد آنذاك إلى بيان المطالب بهذه الصورة الجميلة و يضعها في أحسن الأساليب و أفضلها.

و قد جاء في مقدّمات كتاب نص النّصوص حدود ٢٨ جدولا و دائرة و قد جعلها المحقّق المحترم في آخر الكتاب، إلاّ أنّ خطوط هذه الدوائر و الكتابات فيها ليست واضحة بحيث لا يمكن قراءتها أحيانا و ليست قابلة للاستفادة، و قد كان المناسب جدّا أن يكون في كلّ دائرة و جدول إيضاح و بيان لمرادات المؤلّف و التعليق عليها بما هو المتعارف، و هذا ما عملناه في هذا الكتاب. فنحن علّقنا على كلّ دائرة من الدوائر الّتي وضعها المؤلّف بحيث يتّضح مراده بصورة يمكن من الاستفادة منها بشكل أفضل، إضافة إلى ذلك أنّنا أثبتنا أصل الدائرة بخطّ المؤلّف.

راجع في كلمات المؤلّف حول الدوائر و نفس صورة الدوائر و بعض المطالب الاخرى منّا ص ٩٧ إلى ص ١١٨ من المقدّمة الفارسيّة و الكتاب.

كتمان الأسرار و الوصيّة به

من جملة ما اختصّ به العرفاء و الحكماء الأجلاّء و العلماء باللّه الربّانيّون هو كتمان الأسرار و الوصيّة به، و من هذا خصّ المؤلّف السيّد في مقدّمات كتابه نصّ النّصوص و في كتابه جامع الأسرار فصلين في بيان هذا الكتمان و علّته و الوصيّة به، إضافة على خاتمة كتابه جامع الأسرار و هي أيضا كتبت في هذا الموضوع.

هذا و قد يوجد في كلمات و سيرة المعصومين عليهم السّلام أيضا، قال رسول اللّه (ص):

«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس على قدر عقولهم».

و الأئمّة المعصومون عليهم السّلام أيضا ما قالوا كلّ شيء لكلّ شخص، بل كانت غرر المعارف و غرر الأحاديث يخصّون بها أفرادا خاصّين.

مثلا بعض المعارف كانوا يقولونها لمثل سلمان و كميل و هشام بن سالم و لم يطلعوا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٦

عليها غيرهم، و بهذه الجهة فبعض الأخبار الّتي هي من هذا القبيل، كغرر الأحاديث الّتي تتضمّن المعارف العالية و يحملها أمثال هؤلاء، نجد أنّ سندها واحد و أحيانا رويت بدون سند أو بسند مجهول أو مرسل أو مقطوع أو غير ذلك و أحيانا يتّهم رواتها بالغلوّ و غير ذلك، و جمع هذه الأحاديث يحتاج إلى تحقيق و تتبّع وسيع و كامل و ستكون خدمة كبيرة في نهاية المطاف.

و في الأساس موضوع الكتمان و الإذاعة من جملة الموضوعات الّتي كانت محلّ اهتمام من الأئمّة المعصومين (ع) و ورد في الروايات الواردة عنهم، حتّى أنّ الكليني رحمه اللّه أورد في بابين من كتابه الشريف اصول الكافي روايات تحت عنوان: (باب الكتمان و باب الإذاعة).

راجع في هذه الروايات و كلمات المؤلّف في موضوع الكتمان و غيره من الأعلام ص ١١٨ إلى ص ١٢٨ من المقدّمة الفارسيّة و الكتاب بلفظها العربي.

مقالة حول التفسير و المفسّر و أسماء اللّه الحسنى و درجات الإنسان و دركاته

في خاتمة هذه المقدّمة و لأجل حسن الختام نضمّ هذه الرسالة حول التفسير و المفسّر و الأسماء الحسنى و أسماء و أوصاف القرآن، و أسماء و أوصاف و مقامات خاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المقامات النورانيّة للأنبياء عليهم السّلام، و درجات و كمالات الإنسان في صعوده، و هكذا دركاته و طريق سقوطه من خلال الآيات الواردة في الباب.

و ذلك تكميل لكتاب التفسير الّذي من جملة مباحثه البحث حول الأسماء الإلهيّة الحسنى للحق تعالى، و لهذا نضمّ هذه الرسالة الّتي كنّا من قبل قد استقصينا البحث فيها بشكل دقيق من القرآن الكريم مباشرة، و استخرجنا المطالب منه حتّى تهيّأ، و نرجو أن لا يكون هذا البحث بلا فائدة إن شاء اللّه تعالى.

و في الأساس (كما سيتّضح و يتبيّن ضمن هذه المقالة) أنّ محتوى هذه المقالة بمثابة المتن للتفسير الموضوعي المفصّل للقرآن في البيان و التفسير المحوريّ لمحتوى القرآن الكريم، يعني: اللّه سبحانه و الإنسان.

و كلّ كلمة من هذه المقالة تحتاج إلى تفسير و تبيين دقيق مستوفى مع الاستفادة من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٧

القرآن و روايات أهل بيت العصمة و الطّهارة حتّى تتّضح المفاهيم العالية و الحقائق النورانيّة.

و ليس كلّ واحد من الأسماء الحسنى و أسماء و أوصاف القرآن و النبيّ الأعظم (ص) و بقيّة الأنبياء، و كذلك العناوين الواردة في القرآن في كمال الإنسان و سقوطه يشابه الأسماء و الألقاب و العناوين الاعتباريّة الّتي يتعامل بها الناس العاديين، كما أنّها ليست مستعملة في القرآن بعنوان التبرّك، أو التعرّف بالأفراد و تمييز الواحد عن الآخر من جهة الحسب و النّسب، أو بعنوان الاحترام.

إنّ تلك الأسماء يجب أن لا نتعامل معها معاملة لفظيّة فقط، بل كلّ واحد منها ينطبق على المسمّى بتمام الدقّة و كلّ واحد منها مرآة و علامة على الحقيقة النورانيّة و العينيّة بشكل لا نهاية له.

و كذا كل واحد من أسماء و أوصاف الأنبياء أيضا يحكي عن مقام واقعيّ نورانيّ وجوديّ في وجودهم أي المتّحد مع وجودهم بل هو وجودهم.

فإذا أورد في القرآن كلمة «نور» أو كلمة «حكيم» فلا بدّ أن يعلم ما هو ذلك المقام النوراني، و ما هي آثاره، و ما هي حقيقة الحكمة و مقام الحكمة.

و كذلك إذا قيل: أنّ ابراهيم (ع) (مسلم) أو أنّ أيّوب (ع) (صابر) أو أنّ خاتم الأنبياء (عبده) فهذه حكايات عن الدّرجات العاليات و فوق العالية في وجودهم بشكل يكون ذلك المقام و تلك الدرجة النورانيّة عين وجودهم و أنّ وجودهم عين تلك المقامات، و ليس إطلاق ذلك مجرّد ألفاظ لأجل الاحترام أو بعنوان المحبّة الصرفة.

و أيضا فانّ ورود ألفاظ المقامات و الدّرجات في القرآن مثل: الأبرار، و المقرّبين، و المخلِصين، و المخلَصين، و غير ذلك، و هكذا ما يقابلها من الدركات مثل: الغافلين، السّفهاء، طبع على قلوبهم، و غيرها، ممّا يشير إلى الإنسان الصاعد مع الكمال، أو الإنسان السّاقط مع الرّذيلة، كلّها حكاية عن ماهيّة و حقيقة وجود ذلك الإنسان، لأنّ الإنسان مصنوع لعمله و علمه، و يستطيع من خلال العلم و العمل أن يجعل نفسه في مقام الإثبات لماهيّته كما يستطيع أن يجعل نفسه في مقام النفي، و كذلك يستطيع بذلك أن يكسب ماهيّة جديدة لنفسه.

و أمّا ما يتعلّق بمقامات أهل بيت العصمة و الطّهارة و الأئمّة الأطهار و السيّدة الصّدّيقة الطّاهرة عليهم السلام، فانّ مقامات هؤلاء فوق الأنبياء (ع) و أنّهم مع النبيّ (ص) نور

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٨

واحد، و يحتاج بيان تلك المقامات من طريق القرآن و الأحاديث إلى رسالة اخرى، و سنذكر هذا في محلّه لو كتب لنا التوفيق إن شاء اللّه.

و بعد هذا البيان المجمل نأخذ في الحديث في أصل المقالة.

المرحلة الأولى في تفسير القرآن أوّل المفسّرين:

ابتدأ علم التفسير متزامنا مع نزول القرآن، و أوّل مفسّر للقرآن هو النبيّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أساسا فإنّ التفسير و التبيين لآيات القرآن وظيفة النبيّ (ص) و رسالته، و قد أوكل هذا الأمر إلى النبيّ (ص) من قبل الحقّ تبارك و تعالى:

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل ٤٤).

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ (المائدة ١٥).

المفسّر الثاني:

في المرحلة الثانية بعد نزول آيات القرآن المفسّر للقرآن هو نفس القرآن، فإنّه المبيّن الكامل و المفسّر لآياته، و هذا التفسير و المفسّر دائم البقاء، حيّ دائما و موضّح للقرآن ما دام القرآن موجودا، و قد ذكر القرآن هذه الحقيقة نفسه عند ما قال: القرآن نور، و النور ظاهر بذاته و مظهر لغيره، و أيضا قال: هو الّذي تبيان لكلّ شيء و لا شكّ أنّه يكون بذلك تبيانا

لنفسه أيضا:

وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (النحل ٨٩).

قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ (المائدة ١٥).

وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (الأنعام ٥٩).

و قال أمير المؤمنين (ع):

«كتاب اللّه ... و ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض» (نهج البلاغة خ ١٣٣).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٣٩

المفسّر الثالث:

في المرحلة الثالثة المفسّر الحقيقيّ للقرآن هو أهل بيت العصمة و الطّهارة عليهم السلام، فإنّهم أبواب علوم الأوّلين و الآخرين، و ورثة علم النبيّ الخاتم (ص)، و هم الثقل الأكبر في الحقيقة و لو أنّهم الثقل الأصغر في الظاهر و الظهور.

و أساسا فإنّ كلّ ما وصل من منبع العصمة و أهل بيت النبوّة و أصحاب الحقيقة و الولاية من الأحاديث و الأدعية و المناجات كلّها تفسير للقرآن، و إليك طرفا من الأحاديث في هذا الموضوع:

عن الصّادق (ع):

«نحن ولاة أمر اللّه و خزنة علم اللّه و عيبة وحي اللّه» (اصول الكافي ج ١ ص ١٩٢ ح ١).

عن الباقر (ع):

«نحن خزّان علم اللّه و نحن تراجمة وحي اللّه» (نفس المصدر ح ٣).

عن الكاظم (ع):

«نحن الّذين اصطفانا اللّه عزّ و جلّ و أورثنا هذا الّذي فيه تبيان كلّ شيء» (أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٦ ح ٧).

عن الرضا (ع):

«فإنّ محمّدا (ص) أمين اللّه في خلقه فلمّا قبض (ص) كنّا أهل البيت ورثته» (أصول الكافي ص ٢٢٣ ح ١).

طريق الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن

لأجل الاستفادة من الروايات و كلمات أهل البيت (ع) في فهم و تفسير القرآن ينبغي على الأقل مراعاة الأمور الضروريّة التالية:

ألف- المراجعة للروايات الواردة ذيل الآيات القرآنيّة تطبيقا و بيانا للمصاديق، و من ذلك يمكن اصطياد الضابطة في تفسير آيات القرآن. و الجدير بالذكر أنّ بعض الآيات جاءت لبيان المصداق بعنوان أنّه مصداق منحصر بفرد معيّن لا تتجاوز عنه، مثل آية التطهير الخاصّة بأهل البيت (ع).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٠

ب- لا بدّ أن يقف الإنسان من طريق مراجعة الروايات مع الدّقّة و التأمّل في الأحاديث التفسيريّة الواردة عن أهل البيت على طريقة تفسيرهم (ع) للآيات و كيفيّة الاستفادة من آيات القرآن في التفسير و تطبيق الآيات بعضها على الاخرى و طريق كشف المعاني و المعارف من القرآن.

و من هذه الطريقة يتمكّن الإنسان من تفسير القرآن و الوصول إلى بحر النور اللاّمتناهي الّذي لا ساحل له.

ج- بما أنّ جميع كلمات الأئمّة (ع) يحسب تفسيرا للقرآن، و بما أنّهم (ع) بيّنوا جميع ما يحتاج الإنسان في كماله بما أنّه إنسان، فيجب تفسير الآيات و الكلمات القرآنيّة بما ورد عنهم (ع) في الموضوعات المختلفة و العناوين المتفرّقة.

المرحلة الثّانية في تفسير القرآن

ما ذكرناه حول التفسير و المفسّرين كان بعنوان المرحلة الاولى، و أمّا في هذه المرحلة من التفسير و المفسّرين فهو من نوع الانتقال الثاني، و في هذه المرحلة سيكون التفسير تفسيرا كاملا و جامعا و خالصا لو كان مستندا و مستفادا من المنابع الثلاثة المذكورة، و مع الانس و التدبّر في آيات القرآن لتفسير الآيات الاخرى منه لكي تنكشف للمفسّر العلوم و المعارف و الحقائق الظاهريّة و الباطنيّة.

الانس بالقرآن و التدبّر فيه

إنّ من أفضل الطرق لمعرفة القرآن و معارفه: الانس به و الاستيناس معه و التدبّر في آياته، و هذا يوجب نورانيّة قلب الإنسان و وجوده و يحثّ الإنسان على أن يكون إنسانا قرآنيّا و نورانيّا، و لهذا فمن جملة وظائف الإنسان الّتي بيّنها القرآن هي التدبّر في القرآن:

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً (النساء ٨٢).

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (ص ٢٩).

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (محمّد ٢٤).

لا ينبغي أن تكون تلاوة القرآن بدون تدبّر و تأمّل لأنّ آيات القرآن مع التدبّر فيها

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤١

توضح نفسها، و ليس التدبّر في الآيات هو التعطيل و الإيقاف عن الحركة و التفكّر، فإنّ التدبّر في آيات القرآن هو في الواقع تفسير الآيات بالآيات الاخرى و تطبيق الآيات على الاخرى، و هذا العمل توأم مع الحركة الفكريّة، فإنّ من أثر التدبّر في الآيات إيضاح الآيات المتشابهة و المتّحدة في المعاني و المعارف، و حينئذ يتمكّن الإنسان من تحصيل المعاني الأصليّة و لبّ الآيات القرآنيّة، طبعا لا بدّ أن يكون التدبّر في آيات القرآن بفكر خالص و ذهن خال و قلب طاهر متمشّيا مع التعقّل، و إلاّ: وَ لا يَزِيدُ الظّالِمينَ إِلاّ خَساراً (الإسراء ٨٢).

محتوى القرآن هو: اللّه سبحانه و الإنسان

في القرآن كلمتان و لم يأت أكثر منهما، و هاتان الكلمتان هما عبارة عن اللّه سبحانه و تعالى و هو الحقّ الظاهر و الإنسان و هو المظهر، و أمّا سائر المعاني و المعارف و الحقائق و كلّ ما ورد فهي إمّا أنّها تتعلّق بالأسماء الحسنى للّه تعالى و مظاهرها، و صفاته و أفعاله تعالى، أو أنّها ترتبط بأفراد و مراتب الإنسان حول سيره التكاملي صعودا و نزولا أي إمّا أنّها درجات أو أنّها دركات للإنسان، أو أنّها واردة في شئون عوالم الإنسان، و الآيات المرتبطة بالأنبياء (ع) و في أفراد الشياطين في قبال تلك الآيات، أيضا مرتبطة بتفسير الإنسان. و كذا الآيات المربوطة بالنبوّة و الولاية و المعاد و الأخلاق و الأحكام فهذه الآيات أيضا جميعها لأجل الإنسان و ترتبط به.

هذا بما أنّ الإنسان هو مظهر اسم الجلال و الجمال الإلهيّ، و على هذا فالقرآن فيه كلمة واحدة و هو الحقّ سبحانه و تعالى و مظاهره:

هُوَ الأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ.

و من هذه الجهة يصبح كلّ شيء جميلا، فالعالم هو نظام أحسن، و القرآن هو أحسن الحديث، و الإنسان هو أحسن المخلوقين كما أنّ اللّه سبحانه و تعالى هو أحسن الخالقين.

و هذه الثلاثة- الإنسان- العالم- القرآن، هي حقيقة واحدة لا أكثر و ذلك لأنّ القرآن هو الظهور الكتبيّ للعالم و الإنسان، و العالم هو الظهور التكويني للإنسان و القرآن، و الإنسان هو الظهور النفسي للعالم و القرآن.

و على هذا لا يرى و لا يقرأ في العالم و الإنسان و القرآن إلاّ هو، و لا يوجد إلاّ هو، يا هو يا من لا هو إلاّ هو.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٢

من عرف نفسه فقد عرف ربّه

يستفاد من هذا الحديث أنّ نفس الإنسان هي مجلى الحقّ سبحانه و تعالى ...

راجع في ذلك ص ١٣٦ إلى ص ١٣٨ من المقدّمة الفارسيّة كتبنا فيها باللّغة العربيّة.

الأسماء الحسنى

على ما نستفيد من القرآن بعد الفحص و التحقيق مباشرة وجدنا أنّ تعداد أسماء الحسنى في القرآن بتعداد سور القرآن.

راجع في تفصيل هذا و نفس الأسماء الحسنى مع ذكر الآيات المرتبطة بها ص ١٣٨ إلى ص ١٤٥ من المقدّمة الفارسيّة و الكتاب.

أسماء و أوصاف (مقامات) خاتم الأنبياء في القرآن (عبده و رسوله)

قبل بيان أسماء و أوصاف النبيّ (ص) و ذكر الآيات المرتبطة به نذكر جملة من الآيات الشريفة من القرآن على نحو كلّي عن مقام الإنسان الكامل و الدالّة على علوّ مقام النبيّ (ص) و أفضليّته على سائر الأنبياء و لكن نذكرها بدون تفسير و توضيح، ثمّ بعد ذلك نضع أسماء و أوصاف النبيّ الخاتم (ص) في القرآن.

هذا فإنّ من جملة المقامات الّتي اختصّ بها النبيّ (ص) عبارة عن مقام (عبده) و مقام (رسوله) يعني انتساب عبوديّته و رسالته (ص) بـ(هو) يعني الهوية المطلقة و غيب الغيوب فهذا يختصّ بعبوديّة النبيّ الخاتم و رسالته.

و بناء على هذا فالرسول الكريم محمّد بن عبد اللّه (ص) هو عبد مطلق لحضرة الغيب المطلق و رسوله، و من المعلوم أنّ هذا المقام غير مقام العبوديّة المضاف إلى اسم خاص مثل عبد اللّه، عبد الرحمن، عبدنا، و كذلك رسول اللّه، رسول ربّ العالمين و غير ذلك.

و مقامه هذا (عبده) لا يمكن أن يوازن و يقاس سائر المقامات أبدا و على الإجمال لعلّ هذه المنزلة و المرتبة (عبده) تحكي عن أنّ الصادر الأوّل هو الحقيقة المحمّديّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٣

و مقامات الخلق الأوّل و العقل الأوّل و غيرهما من جملة الشئون الّتي لا نهاية لها للنبيّ الأعظم (ص) و اللّه هو العالم.

و أمّا الآيات الّتي وعدنا بذكرها فهي:

ألف- وَ هُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى (النجم ٧- ١٠).

ب- وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ (النحل ٨٩).

ج- وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ (النحل ٨٩).

د- وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كافَّةً لِلنَّاسِ (سبأ ٢٨).

هـ- ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب ٤٠).

و بعد ذكر الآيات السابقة و التوجّه الإجماليّ بالمقام العاليّ و الشامخ الّذي هو مظهر تامّ للحقّ سبحانه، نذكر أسماءه و أوصافه (ص) الواردة في القرآن، مع التوجّه إلى هذه النكتة المهمّة و هي أنّا لسنا هنا في مقام استقصاء جميع الآيات المرتبطة بالنبيّ (ص) بل مرادنا ذكر أسماءه و أوصافه (ص) فقط في القرآن و إلاّ فما ورد فيما يتعلّق بالنبيّ (ص) في القرآن فهو كثير جدّا أكثر ممّا نذكره هنا.

و أمّا الروايات الّتي ذكرت أسماءه و أوصافه (ص) فيها، فهي ما يلي:

راجع تلك الآيات من ص ١٤٦ إلى ص ١٤٩ من المقدّمة التالية الفارسيّة.

هل أنّ معرفة الرسول المكرّم (ص) ممكنة؟

من هو القادر على معرفة المقامات النورانيّة لوجود خاتم الأنبياء؟ يعني الشخص الّذي هو أوّل إنسان و آخر الأنبياء و هو كامل الأنبياء و كمالهم، و الشخص الّذي هو مرآة تامّة لجلال اللّه و جماله تعالى، و عبده الخاصّ و العبد المطلق له سبحانه و تعالى، هيهات هيهات لا أحد يمكن أن يعرفه إلاّ اللّه و أمير المؤمنين الّذي هو نفسه و وصيّه، أو عن طريق القرآن فلا يمكن لأحد، و لا قدرة لأحد على معرفته (ص) الّذي هو صاحب قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ حتّى أنّ جبرائيل لم يملك القدرة على مرافقته، و قد كلّف جميع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٤

الأنبياء بالإيمان به برسالته و كلّهم جاءوا لجهة استقباله و بشّروا به و هيّئوا الأجواء لبعثته.

و هو الّذي له مع اللّه خلوة و مجلس انس به و هو موضع خطاب: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

كيف يمكن معرفته لأحد إلاّ اللّه الّذي هو خالقه، و عليّ الّذي هو نفسه، و القرآن الّذي هو تفسيره، و أمّا ما عدا ذلك فلا يمكن لأحد معرفته، و تلاحظ في ما ذكرناه و ما نذكره من الآيات و الروايات التالية:

وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ (آل عمران ٨١).

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ (البقرة ١٤٦).

وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (الصف ٦).

عن عليّ (ع) قال:

«ما أعطى اللّه عزّ و جلّ نبيّا درجة و لا مرسلا فضيلة، إلاّ و قد جمعها لمحمّد (ص) و زاد محمّدا (ص) على الأنبياء أضعافا مضاعفة» (بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٨).

و جاء في الحديث النبويّ المعروف:

«لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل، و لا عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه بالإيمان» (بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٦٠).

و أيضا قال:

«لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي» (الفتوحات ج ٨ ص ٣٠٨).

و أيضا قال رسول اللّه (ص) مخاطبا لعليّ (ع):

«إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى» (نهج البلاغة خ القاصعة).

و قال رسول اللّه (ص) مخاطبا لعليّ (ع):

«لا يعرف اللّه إلاّ أنا و أنت، و لا يعرفني إلاّ اللّه و أنت، و لا يعرفك إلاّ اللّه و أنا» (مقتل الحسين «ع»- المقرّم، نقلا عن مختصر البصائر ص ١٢٥).

و جاء في أحاديث المعراج:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٥

«فلمّا بلغ إلى سدرة المنتهى، فانتهى إلى الحجب، فقال جبرئيل: تقدّم يا رسول اللّه، ليس لي أن أجوز هذا المكان، و لو دنوت أنملة لاحترقت» (بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٢).

قال رسول اللّه (ص):

«أنا أوّل الأنبياء خلقا و آخرهم بعثا» (عوالي اللّئالي ج ٤ ص ١٢٢).

و أيضا قال (ص):

«كنت أوّل النّاس في الخلق و اخرهم في البعث» (الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦ ح ٦٤٢٣).

و أيضا قال (ص):

«أنا و عليّ من نور واحد، و أنا و إيّاه شيء واحد» (عوالي اللّئالي ج ٤ ص ١٢٤).

و قوله تعالى:

فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ (آل عمران ٦١).

أسماء و أوصاف القرآن

راجع في هذا العنوان ص ١٥١ إلى ص ١٥٣ من المقدّمة التالية الفارسيّة التي ذكرت فيها الآيات القرآنيّة المرتبطة لأسماء القرآن.

تفاوت أوصاف و درجات (مقامات) الأنبياء في القرآن

الف- تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ (البقرة ٢٥٣).

ب- وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ (الأنعام ١١٢).

ج- لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً (المائدة ٤٨).

د- وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (الشورى ٥١).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٦

هـ- انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً (الإسراء ٢١).

و- آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ

(البقرة ٢٨٥).

و بعد:

فنقول: الأنبياء كلّهم كلمات اللّه و أسماءه الحسنى و نماذج للإنسان الصاعد، و كلّهم حقيقة واحدة و نور واحد، و كلّهم دعاء إلى الصراط المستقيم و التوحيد.

و كما أنّ الأسماء الحسنى ذات مراتب كذلك الأنبياء أيضا مع أنّهم في حقيقة الأمر كلّهم وسائط الفيض الإلهيّ و سفراء اللّه تعالى و لكن يجب حفظ المراتب، كلّ واحد منهم له مرتبة خاصّة.

و بالمعنى الأدقّ أنّ توفيقيّة الأسماء الإلهيّة هي حفظ المراتب، و أنّ كلّ اسم في مرتبة خاصّة و كلّ منها مظهر لإسم خاص للحقّ سبحانه. و له موطن خاص و فعليّة خاصّة، و لو أنّ كلّ اسم من جهة أنّه يحكي عن الذات و الوجود، يحكي كل واحد منها في الجملة عن تمام الذات.

بل بناء على هذا المعنى المذكور يكون جميع أجزاء العالم و كلّ الموجودات في نظامها الأحسن توفيقيّة لأنّ في ذلك النظام لا يمكن لموجود أن يقبل التغيير عن موطنه و يتبدّل بغيره.

تفاوت مراتب و منزلة الأنبياء

أفضليّة النبيّ الخاتم (ص)، و هكذا التفاضل بين الأنبياء أحدهم على الآخر على أساس الفضائل الحقيقيّة و العينيّة، و منشأ ذلك من تفاوت مقام ولايتهم، و كما أنّ الأنبياء (ع) يتفاوتون من حيث النبوّة و مقام الأخذ و الرسالة و مقام الإبلاغ، كذلك يتفاوتون من حيث مقام الولاية، و أساسا كما أنّ مقام النبوّة و الرسالة يستند إلى مقام الولاية و بدون الولاية لا تحصل النبوّة و الرسالة، كذلك التفاوت في النبوّة و الرسالة يستند إلى التفاوت في رتبة الولاية.

و لكن قد يوجد مقام الولاية بدون النبوّة و الرسالة و أيضا لا يكون للإنسان مقام

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٧

النبوّة و الرسالة إلاّ أنّه قد يكون في مقام الولاية أعلى و أرفع من كلّ الأنبياء و المرسلين كما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام مع أنّهم ليسوا بأنبياء و رسلا لكنّهم أفضل من الأنبياء و الرسل من حيث الولاية، إلاّ النبيّ الخاتم (ص).

ثمّ إنّ مرجع التفاوت بين درجات الأنبياء و التفاضل في مقاماتهم الّتي سنستفيدها و سنذكرها من القرآن يعود في الأصل إلى التفاوت في مقام الولاية لكل واحد منهم، و اللّه هو العالم.

المقامات و الأوصاف العينيّة للأنبياء (ع)

راجع في الآيات المرتبطة في هذا العنوان ص ١٥٥ إلى ص ١٦٥ من المقدّمة التالية الفارسيّة.

تفسير الإنسان و بيان درجاته و دركاته في القرآن

في البداية نشير إلى جملة من الآيات المباركة:

ألف- أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (آل عمران ١٦٢- ١٦٣).

ب- أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال ٤).

ج- وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (الأعراف ١٧٩).

د- إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (النساء ١٤٥).

و إن كان تفسير الإنسان الّذي هو المظهر التامّ لجلال و جمال اللّه تعالى، فيجب في النهاية أن يكون متخلّقا بأخلاق الحقّ تعالى الّتي هي نفس الأسماء الحسنى للّه سبحانه، لكي يكون مرآة لظهور أسمائه الحسنى، شرع من ابتداء هذه المقالة، و لكن تلك المطالب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، المقدمة، ص ٤٨

السّابقة كل واحد منها ينبغي أن يكون تحت عنوان خاصّ، و لكن الأوصاف المذكورة في هذا القسم من هذه الرسالة حول الإنسان تكون له بما أنّه انسان، و من هذه الجهة جعلنا هذا القسم من هذه الرسالة تحت عنوان تفسير الإنسان.

و لكلّ واحدة ممّا سنذكره من الكلمات و المقامات حول الإنسان إنّما هي مواطن متعدّدة من القرآن و في ضمن آيات مختلفة، و لبيان كلّ واحدة منها شرائط و عوامل و آثار مختلفة و تفسيرا مناسبا، و يكون ذلك مع التوجّه إلى الآيات المختلفة في القرآن و الأحاديث المرتبطة، و كلمات أهل بيت العصمة و الطّهارة و خطبهم و أدعيتهم في هذا المجال و طبعا ستكون في من هذه الفكرة و مع مراعات الأطراف كلّها و كتابتها شرحا و تفسيرا موضوعيّا للقرآن الّذي أشرنا إليه سابقا.

إلاّ أنّنا فعلا في مقام وضع متن الموضوع، و سنذكر لكلّ مورد من الأوصاف الإنسانيّة أنموذجا واحدا من الآيات الكريمة.

أوصاف و درجات الإنسان الصّاعد

راجع في تفصيل هذا العنوان ص ١٦٧ إلى ص ١٧٤ من المقدّمة التالية الفارسيّة ذكرنا فيها الآيات المرتبطة.

أوصاف و دركات البشر السّاقط

راجع في تفصيل هذا العنوان أيضا و آياته المرتبطة ص ١٧٤ إلى ص ١٨١ من المقدّمة التالية.

هذا و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.